

معالم الرحمة في تعامل النبي ﷺ

مع المبتدئ والجاهل والعاصي

إعداد

د. سليمان بن صالح محمد الشجراوي

الأستاذ المساعد في الحديث النبوي وعلومه بجامعة الجوف

من أبحاث المؤتمر الدولي
نبي الرحمة محمد ﷺ

المنعقد في الفترة ٢٣ – ٢٥ شوال ١٤٣١هـ الموافق ٢ – ٤ أكتوبر 2010م
برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز – حفظه الله–

والذي نظمته
الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها (سنن)



www.sunnah.org.sa



المُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبي الرحمة، الداعي إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، الهادي إلى صراط العزيز الحميد، محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فيسرني أن أقدم لكم هذا البحث تحت عنوان: «**معالم الرحمة في تعامل النبي ﷺ مع المبتدئ والجاهل والعاصي**».

أولاً: أهمية الموضوع وسبب اختياره:

إن الرحمة كانت صفة رسول الله ﷺ التي لم تفارقه قط في كل سيرته، وفي كل مراحل حياته وأحواله، فكان ﷺ كما قالت عائشة: «كان خلقه القرآن» والقرآن هو الرحمة!

وفي هذه الأيام يتعرض النبي الكريم، والرحمة المهداة إلى هجمة شرسة من قبل أعداء الإسلام، يصفونه باطلا بأبشع الصور، وأسوأ الصفات.

ولقد هب المؤمنون الخيرون في أرجاء المعمورة يدافعون عن نبيهم

الكريم، وعن سنته، كل حسب طاقته في الرد على هؤلاء، وبيان زيف ما يدعون.

ولما وجدت أن الجمعية العلمية السعودية للسنة النبوية وعلومها قد دعت إلى مؤتمر عنوانه: «نبي الرحمة محمد ﷺ» وجدت أن من واجبي كمختص في الحديث النبوي وعلومه أن أكتب في واحد من مجالات المؤتمر، وقد اخترت أن أكتب في معالم الرحمة في تعامل النبي ﷺ مع المبتدئ والجاهل والعاصي، حيث إن هذا الموضوع يبرز جانبا مهما من جوانب رحمة النبي ﷺ التي قل أن يُهتم لها، فالرحمة والرفق واللين والتسامح والتواضع من أهم أسباب استجابة الناس لدعوة الإسلام.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ** ﴾[1].

ثانياً: أهداف هذا البحث:

١ – الإسهام في الدفاع عن الحبيب المصطفى ﷺ والتصدي لما يتعرض له من هجمة من قبل أعداء الدين.

٢ – بيان ما كان يتمتع به النبي ﷺ من الأخلاق العظيمة كما وصفه ربه:

(١) سورة آل عمران ١٥٩.



﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1].

٣ – توجيه الدعاة إلى أهمية العناية في التعامل بخلق الرحمة مع المبتدئ والجاهل والعاصي والناس كافة.

٤ – بيان أهمية هذا المسلك في التأثير في الناس وكسب قلوبهم وتثبيت إيمانهم.

ثالثاً: منهجي في البحث:

لقد اعتمدت في كتابة هذا البحث الأسلوب الاستقرائي التحليلي.

ويتلخص فيما يلي:

١ – ذكر الآيات القرآنية التي لها علاقة بعناوين هذا البحث، مع ذكر بعض اللطائف المتعلقة بهذه الآيات.

٢ – جمع الأحاديث المتعلقة بموضوعات هذا البحث وتخريجها من مصادرها الأصلية، مع بيان ما فيها من ضعف إن وجد.

٣ – الإشارة إلى بعض الفوائد والحكم المستفادة من هدي النبي ﷺ.

رابعاً: خطة البحث:

وقد قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة على النحو التالي:

---

(١) سورة القلم ٤.

- المقدمة.
- التمهيد: وذكرت فيه: **معنى الرحمة في اللغة والاصطلاح**.
- **رحمة الرسول في القرآن الكريم**.
- **التعريف بالمبتدئ**.
- **التعريف بالجاهل**.
- **التعريف بالعاصي**.
- **أحاديث عامة في الرحمة**.
- المبحث الأول: الرحمة **بالمبتدئ**.
- المبحث الثاني: الرحمة **بالجاهل**.
- المبحث الثالث: الرحمة **بالعاصي**.
- الخاتمـة: وذكرت فيها: نتائج البحث، وأبرز التوصيات.

وفي الختام أسأل الله أن أكون قد وفقت في كتابة هذا البحـث، وأن يتقبلـه مني خالصا لوجهه الكريم، وأن يتجاوز عن أخطائي وعثراتي، إنه سميع مجيب.

***



تمهيد

في بداية هذه الدراسة لابد من توضيح بعض المصطلحات والقضايا المتعلقة بها، وتتضمن:

أولاً: الرحمة في اللغة:

تدور مادة: (ر ح م) حول معنى الرقَّة، والعطف، والرَّأفة. والمَرْحَمَةُ مثلها، وقد رَحِمْتُهُ وتَرَحَّمْتُ عليه وتَراحَمَ القومُ رَحِمَ بعضهم بعضاً، والرَّحْمَةُ المغفرة(١).

ثانياً: الرحمة في الاصطلاح:

عرفها بعضهم بأنها: إرادة إيصال الخير(٢).

ويعرفها آخرون بأنها: محبة للمرحوم مع جزع من الحال التي من أجلها رُحم(٣).

(١) انظر: لسان العرب – ابن منظور ١٢/ ٢٣٠، مقاييس اللغة- ابن فارس ٣/ ٣٩٨، مختار الصحاح ١/ ١٠٠.

(٢) التعريفات، الجرجاني، ١٤٦.

(٣) معالم التنزيل للبغوي: ٣/ ١٥٢، وموسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، ج٦.

وقيل: صفة تظهر في القلب وهي إرادة الحنين[1].

ثالثاً: رحمة الرسول في القرآن الكريم:

وردت مادة الرحمة بصورها المتعددة في القرآن الكريم ٣٢٣ مرة[2].

وتناولت هذه المواضع الحديث عن الرحمة من جميع جوانبها، ومختلف صورها، وما يهم في هذا البحث هو الإشارة إلى الآيات القرآنية التي تحدثت عن رحمة النبي ﷺ.

الآية الأولى:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[3].

هذه الآية تبين لنا سر نجاح النبي ﷺ، وسبب استجابة الناس لدعوته، فالرحمة والرفق واللين من أسباب هذه الاستجابة «**وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ**

(١) التبيان في تفسير غريب القرآن ١/ ٥٠.

(٢) انظر: فهارس القرآن الكريم – د. محمد حسن الحمصي ـ ٩٣ – ٩٤، وانظر: أخلاقنا – د. محمد جوهري ٩٨ .

(٣) سورة آل عمران ١٥٩.



لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ».

فهي رحمة الله التي نالته ونالتهم ؛ فجعلته ﷺ رحيماً بهم ليناً معهم. ولو كان فظاً غليظ القلب ما تألفت حوله القلوب ولا تجمعت حوله المشاعر. فالناس في حاجة إلى كنف رحيم، وإلى رعاية فائقة، وإلى بشاشة سمحة، وإلى ود يسعهم، وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم..إنهم في حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء ؛ ويحمل همومهم ولا يعنيهم بهمه ؛ ويجدون عنده دائماً الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والود والرضاء.. وهكذا كان قلب رسول الله ﷺ وهكذا كانت حياته مع الناس، ما غضب لنفسه قط، ولا ضاق صدره بضعفهم البشري، ولا احتجز لنفسه شيئاً من أعراض هذه الحياة، بل أعطاهم كل ما ملكت يداه في سماحة ندية، ووسعهم حلمه وبره وعطفه ووده الكريم، وما من واحد منهم عاشره أو رآه إلا امتلأ قلبه بحبه ؛ نتيجة لما أفاض عليه ﷺ من نفسه الكبيرة الرحيبة[1].

الآية الثانية:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[2].

---

(١) في ظلال القران – سيد قطب ١/ ٥٠٠، ٥٠١.

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧.

أي وما أرسلناك يا محمد بالشرائع والأحكام إلا رحمة لجميع العالم، والاستثناء مفرّغ من أعمّ الأحوال والعلل، أي ما أرسلناك لعلة من العلل إلا لرحمتنا الواسعة، فإن ما بعثت به سبب لسعادة الدارين[1]. فكان ﷺ رحمة رحم الله بها العالمين.

قال ابن عباس: هو عام في حق من آمن ومن لم يؤمن، فمن آمن فهو رحمة له في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن فهو رحمة له في الدنيا بتأخير العذاب عنهم ورفع المسخ والخسف والاستئصال عنهم[2].

الآية الثالثة:

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

قال ابن كثير: في قوله تعالى: **﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾** أي يعز عليه الشيء الذي يعنت أمته ويشق عليها[4].

---

(١) فتح القدير – الشوكاني ٣/ ٤٣٠.

(٢) تفسير البغوي ٥/ ٣٥٩.

(٣) سورة التوبة ١٢٨.

(٤) تفسير القران العظيم – ابن كثير ٢/ ٤٠٤.

وقال ابن الجوزي: في قوله تعالى: ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ قولان: أحدهما شديد عليه ما شق عليكم، والثاني شديد عليه ما آثمكم[1].

وقال البغوي:

﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُم ﴾ أي: على إيمانكم وصلاحكم. وقال قتادة: حريص على ضالكم أن يهديه الله، ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ قيل: رءوف بالمطيعين رحيم بالمذنبين[2].

الآية الرابعة:

﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ ﴾[3].

رابعاً: التعريف بالمبتدئ:

والبَدْء فِعْلُ الشيءِ أَوَّلُ ... وبَدأْتُ الشيءَ فَعَلْتُهُ ابْتِداءً[4].

والمقصود بالمبتدئ في هذا البحث المبتدئ في الإسلام أي:

(١) انظر: زاد المسير ٣/ ٤٢١.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ١١٦.

(٣) سورة التوبة ٦١.

(٤) انظر: لسان العرب ١/ ٢٦.

ذلك الشخص الـذي دخـل في الإسـلام حـديثا ولا يـزال حـديث عهـد بجاهلية، ويلحق به في المعاملة من يرجى تأليف قلبه للدخول في الإسلام.

خامساً: التعريف بالجاهل:

الجَهْل نقيض العِلْم وقد جَهِله فلان جَهْلاً وجَهَالة وجهِلَ عليه وتَجَاهل أَظهر الجَهْل، والجَهَالة أَن تفعل فعلاً بغير عِلْم، والجمع جُهْلٌ وجُهُلٌ وجُهَّل وجُهَّال وجُهَلاء، وقوله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ﴾ يعني الجاهِل بحالهم ولم يُرِدِ الجاهِلَ الذي هو ضد العاقل إِنما أَراد الجَهْل الذي هو ضد الخِبْرة يقال هو يَجْهَل ذلك أَي لا يعرفه(١).

سادساً: التعريف بالعاصي:

والعِصيانُ خِلافُ الطَّاعَة عَصى العبدُ ربه إِذا خـالَف أَمْـرَه وعصى فـلان أَميرَه يَعْصِيه عَصْياً وعِصْياناً ومَعْصِيَةً إِذا لم يُطِعْهُ فهو عاصٍ وعَصِيٌّ(٢).

سابعا: أحاديث عامة في الرحمة:

إن رسالة الإسلام جاءت لعموم الناس ـ كما هو معلوم ـ وإنهـا في أصـلها وطبيعتها رحمة بالناس أجمعين، وإن رسـول الله ﷺ رحمـة مُهـداة إلى العـالمين،

(١) المرجع السابق ١١/ ١٢٩.

(٢) المرجع السابق ١٥/ ٦٣.



ومن هذا المنطلق جاءت كلماته في قضية الرحمة عامة شاملة تشمل كل من يعيش على ظهر الأرض.

والأحاديث في هذا الجانب كثيرة نشير إلى بعضها:

١ – عن جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ لَا يَـرْحَمُ لَا يُـرْحَمُ**»، وفي بعض الروايات: «**مَنْ لَا يرحم الناس لَا يرحمه الله ﷻ**»[1].

هكذا على إطلاقها تأتي العبارة، مَن لا يَرحم – دون تحديد ولا تقييد – لا يرحمه الله ﷻ.

٢ – عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**»[2].

وكلمة «مَنْ» تشمل كل مَن في الأرض.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم ٥/ ٢٢٣٩ (٥٦٦٧)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ بالصبيان والعيال ٤/ ١٨٠٩ (٢٣١٩)، والترمذي، كتاب البر والصلة والآداب ٤/ ٣٢٣ (١٩٢٢).

(٢) رواه الترمذي في كتاب البر والصلة ٤/ ٤٢٣ (١٩٢٤)، وأحمد ٢/ ١٦٠ (٦٤٩٤)، والحاكم ٤/ ١٧٥ (٧٢٧٤)، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وقال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر الحديث ذا الرقم (٣٥٢٢) في صحيح الجامع.

٣ – عن أسامة بن زيد قال: قال ﷺ: «**إنما يرحم الله من عباده الرحماء**»(١).

إن الرحمة التي ظهرت في كل أقوال وأعمال رسول الله ﷺ لم تكن رحمة مُتكلَّفة، تحدث في بعض المواقف من قبيل التجمل أو الاصطناع، إنما كانت رحمة طبيعية تلقائية مُشاهَدة في كل الأحوال، على اختلاف الظروف، وتعدُّد المناسبات..

* * *

(١) رواه البخاري في كتاب الجنائز – باب قول النبي ﷺ يعذب الميت ببكاء أهله ١/ ٤٣١ (١٢٢٤)، ومسلم في الجنائز – باب البكاء على الميت ٢/ ٦٣٥ (٩٢٣)، وأبو داود ٣/ ١٩٣ (٣١٢٥)، والنسائي ٤/ ١٢٥ (١٨٦٨)، وابن ماجة ١/ ٥٠٦ (١٥٨٨)، وأحمد ٥/ ٢٠٤.

المبحث الأول

الرحمة بالمبتدئ

بالرحمة والرفق واللين تفتح مغاليق القلوب، ويقبل الناس على الحق، ذلك أن الناس بطبيعتهم يألفون الرقة واللين والرفق، وينفرون من الخشونة والشدة والعنف.

ولقد كان النبي ﷺ مثالا في الرحمة والرفق والحلم والأناة والتواضع، وإليكم بعض معالم رحمته في الدعوة إلى الإسلام، وكيف كان يعامل الذين دخلوا في دين الله حديثا، وأولئك الذين يريد استمالتهم لهذا الدين.

أولاً: الابتسامة وأثرها في نفوس المدعوِّين:

لقد تعددت الروايات التي أكدت أن رسول الله ﷺ كان أكثر الناس تبسما وأطلقهم وجهاً وأرقاهم سجيّة وأكثرهم انبساطاً. وما كان عليه الصّلاة والسّلام يتكلف الضحك والانبساط، بل كان يمتلك نفوس أصحابه رضي الله عنهم بابتسامته المشرقة، ويستجيب مع طرائفهم ويلاطفهم، ليكسب قلوبهم ويفوز بودهم، ويقبلوا على هديه، ويستجيبوا لدعوته.

فبالابتسامة تنفتح القلوب وتنشرح النفوس وتقرب المسافات البعيدة،

وهي تساعد على التعارف وبناء صـداقات جديـدة ولاسـيما عنـد اللقـاء الأول مع الشخص.

ولا يخفى ما في الابتسامة والبشاشة من رحمة ورفق بالمدعويين بل بالنـاس أجمعين.

وإليكم هذه النماذج الرائعة من سيرته ﷺ:

(١) عَنْ جَرِيرٍ رضي الله عنه قَالَ: «**مَا حَجَبَنِي**[١] **النَّبِيُّ ﷺ مُنْـذُ أَسْـلَمْتُ وَلَا رَآنِي إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي وَلَقَدْ شَكَوْتُ إِلَيْهِ أَنِّي لَا أَثْبُـتُ عَـلَى الْخَيْـلِ فَضَرَـبَ بِيَـدِهِ فِي صَدْرِي وَقَالَ اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا**»[٢].

(١) ما حجبني – أَيْ مَا مَنَعَنِي مِنْ الدُّخُول إِلَيْهِ إِذَا كَانَ فِي بَيْتـه فَاسْـتَأْذَنْت عَلَيْـهِ. فـتح البـاري ٧/ ١٣٢.

(٢) حديث صحيح رواه البخاري – كتاب الجهـاد – بـاب مـن لا يثبـت عـلى الخيـل ٦/ ١٦١ (٣٠٣٥، ٣٠٣٦) وكتاب مناقب الأنصار ٧/ ١٣١(٤٨٢٢) وكتاب الأدب – باب التبسم والضحك ١٠/ ٥٠٤(٦٠٨٩، ٦٠٩٠).
ورواه الترمذي – كتاب المناقب – مناقب جرير ٥/ ٦٧٨-٦٧٩ (٣٨٢٠،٣٨٢١) وكتـاب الشـمائل ١٩٢ (٢٢٠، ٢٢١)، وابـن ماجـه – المقدمـة – فضـل جريـر ١/ ٥٦(١٥٩)، وأحمـد ٤/ ٣٥٨، ٣٥٩، والطـبراني – المعجـم الكبـير ٢/ ٣٥٢ (٢٤٨٠)، ٣/ ٢٩٣-٢٩٤ (٢١١٩-٢٢٢٣).



نلحظ هنا أثر الابتسامة التي جعلت من جرير يفاخر بها، ولولا وقعها في نفسه ما ذكرها، فالابتسامة لا تأخذ أكثر من لمحة البصر - لكن أثرها يبقى أبد الدهر.

إن أعظم من سطروا صفحات المجد والخلود للإسلام، اعتنقوه ببسمة مخلصة أو نظرة نافذة، أو معاملة حسنة، أو كلمة طيبة[1].

(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنكم لا تسعون الناس بأموالكم وليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق**»[2].

(٣) عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يَحْقِرَنَّ أَحَدُكُمْ شَيْئًا مِنْ الْمَعْرُوفِ وَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيَلْقَ أَخَاهُ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**»[3].

(٤) عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ قَالَ: «**قُلْتُ لِجَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ أَكُنْتَ تُجَالِسُ رَسُولَ**

---

(١) انظر: الطريق إلى القلوب – عباس السيسي ٨٨.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك ١/ ٢١٢ (٤٢٧، ٤٢٨) وقال: هذا حديث صحيح معناه غير أنهما لم يخرجاه، عن عبد الله بن سعيد، وأبو يعلى في مسنده ١١/ ٤٢٨ (٦٥٥٠)، ورواه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٢٥٤ (٨٠٥٤) كلهم عن عبد الله بن سعيد المقبري. قال الهيثمي في المجمع ٨/ ٢٢: فيه عبد الله بن سعيد المقبري وهو ضعيف.

(٣) رواه مسلم – كتاب البر والصلة والآداب – باب استحباب طلاقة الوجه ٤/ ٢٠٢٦ (٢٦٢٦)، والترمذي ٤/ ٢٧٤(١٨٣٣) و٤/ ٣٤٧(١٩٧٠)، وأحمد ٣/ ٣٤٤، ٣٦٠.

اللهَّ ﷺ قَالَ نَعَمْ كَثِيرًا كَانَ لَا يَقُومُ مِنْ مُصَلَّاهُ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ الصُّبْحَ أَوْ الْغَدَاةَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ فَإِذَا طَلَعَتْ الشَّمْسُ قَامَ وَكَانُوا يَتَحَدَّثُونَ فَيَأْخُذُونَ فِي أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ فَيَضْحَكُونَ وَيَتَبَسَّمُ»[1].

ثانيا: الرفق في الموعظة:

«عَنْ شَقِيقٍ أَبِي وَائِلٍ قَالَ كَانَ عَبْدُ اللهَّ يُذَكِّرُنَا كُلَّ يَوْمِ خَمِيسٍ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّا نُحِبُّ حَدِيثَكَ وَنَشْتَهِيهِ وَلَوَدِدْنَا أَنَّكَ حَدَّثْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ فَقَالَ مَا يَمْنَعُنِي أَنْ أُحَدِّثَكُمْ إِلَّا كَرَاهِيَةُ أَنْ أُمِلَّكُمْ إِنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ كَانَ يَتَخَوَّلُنَا[2] بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ كَرَاهِيَةَ السَّآمَةِ[3] عَلَيْنَا»[4].

---

(١) رواه مسلم ١/ ٤٦٣(٦٧٠) و٤/ ١٨١٠(٢٣٢٢)، وأحمد ٥/ ٨٦، ٨٨، ٩١.

(٢) أي يَتعهَّدُنا من قَولهم فلان خائلُ مالٍ وهو الذي يُصْلِحُه ويقومُ به. وقال أبو عمرو: الصوابُ: يَتَحوَّلُنا بالحاء أي يَطلُبُ الحالَ التي يَنْشَطون فيها للموْعَظة فيَعِظُهم فيها ولا يُكْثِرُ عليهم فيمَلُّوا. انظر: النهاية ٢/ ٨٨.

(٣) السَّآمَةِ: الملل والضجر. النهاية ٢/ ٣٢٨.

(٤) رواه البخاري – كتاب العلم- باب كان النبي يتخولهم بالموعظة والعلم ١/ ١٦٢ (٦٨). وكتاب العلم - باب من جعل لأهل العلم أياما معلومة ١/ ١٦٣(٧٠). وكتاب الدعوات – باب الموعظة ساعة بعد ساعة ١١/ ٢٢٨(٦٤١١) ورواه مسلم- كتاب صفة القيامة والجنة والنار- باب الاقتصاد في الموعظة ٤/ ٢١٧٢، ٢١٧٣ (٦٨٢١) والترمذي كتاب=

وفي الحديث الدعوة للاقتصاد في الموعظة، لئلا يمل السامع، ويترك العمل لكثرة التكاليف، فعلى الداعية أن يتدرج في دعوة الناس للإسلام، وخاصة المبتدئين، فكثرة إلقاء الواجبات والمواعظ قد تصدهم عن الدعوة قبل أن يكتمل بنيانها في صدورهم، وكم من أُناسٍ ابتعدوا عن جادة الحق بسبب تسرع بعض الدعاة في قطف الثمار.

وها هو الحبيب المصطفى ﷺ يعلمنا الرحمة والرفق في كل شيء حتى في الموعظة والتعليم.

يقول ابن حجر في شرح هذا الحديث:

وَفِي الحديث رِفْق النَّبِيّ ﷺ بِأَصْحَابِهِ وَحُسْن التَّوَصُّل إِلَى تَعْلِيمهمْ وَتَفْهِيمهمْ لِيَأْخُذُوا عَنْهُ بِنَشَاطٍ لَا عَنْ ضَجَر وَلَا مَلَل، وَيُقْتَدَى بِهِ فِي ذَلِكَ، فَإِنَّ التَّعْلِيم بِالتَّدْرِيجِ أَخَفّ مُؤْنَة وَأَدْعَى إِلَى الثَّبَات مِنْ أَخْذه بِالْكَدِّ وَالْمُغَالَبَة. وَفِيهِ مَنْقَبَة لِابْنِ مَسْعُود لِمُتَابَعَةِ النَّبِيّ ﷺ فِي الْقَوْل وَالْعَمَل وَمُحَافَظَته عَلَى ذَلِكَ[1].

=الأدب – باب الفصاحة والبيان ٥/ ١٤٢ (٢٨٥٥)، وأحمد١/ ٣٧٧، ٣٧٨، ٤٢٥، ٤٢٧، ٤٤٠، ٤٤٣، ٤٦٢، ٤٦٥، ٤٦٦، وابن حبان ٧/ ٢٧(٤٥٠٧)، والطيالسي ٣٤، والطبراني في المعجم الكبير١٠/ ٢٣٧(١٠٤٣٠، ١٠٤٣١) وأبو يعلى ٩/ ٧٠، ٧١ (٥١٣٧) و٩/ ١٤٦، ١٤٧ (٥٢٢٦).

(١) انظر: فتح الباري ١١/ ٢٢٨.

ثالثاً: التدرج في دعوة المبتدئ:

«عن عبد الله بْنَ عَبَّاسٍ لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى نَحْوِ أَهْلِ الْيَمَنِ قَالَ لَهُ: إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَّ تَعَالَى فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَّ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ فَإِذَا صَلَّوْا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَّ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ فَإِذَا أَقَرُّوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ»[1].

وفي هذا الحديث التدرج في دعوة المبتدئ وهو منهج قام عليه الإسلام في كافة أموره التشريعية والتربوية والدعوية.

ومسألة التدرج في الدعوة مسألة عُنِيَ بها النبي ﷺ في دعوته لقومه،

(١) رواه البخاري واللفظ له في كتاب التوحيد – باب ما جاء في دعاء النبي أمته إلى توحيد الله ١٣/ ٣٤٧ (٧٣٧٢) ورواه مسلم كتاب الإيمان – باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ١/ ٥٠– ٥١ (١٩) ورواه أبو داود كتاب الزكاة– باب زكاة السائمة ٢/ ١٠٤– ١٠٥ (١٥٨٤) والترمذي – كتاب الزكاة – باب ما جاء في كراهية اخذ خيار المال في الصدقة ٣/ ٢١ (٦٢٥) والنسائي ٥/ ٢–٤كتاب الزكاة – باب وجوب الزكاة ٥/ ٢–٤ والنسائي ٥/ ٢–٤كتاب الزكاة – باب وجوب الزكاة ٥/ ٢– وابن ماجه – كتاب الزكاة – باب فرض الزكاة ١/ ٥٦٨ (١٧٨٣) وأحمد ١/ ٢٣٣.



ومن تتبع سيرته وجد هذا الأمر واضحا بينا، فانظر مثلا إلى دعوة النبي ﷺ وهو في مكة ولمدة ثلاث عشرة سنة، لقد كان طوال هذه المدة يدعو إلى عبادة الله وحده وترك الأصنام والأوثان التي كانت تعبد من دون الله، ولذا فإنه في أثناء هذه الفترة لم يهتم بالتفصيل الدقيق للأحكام الشرعية في أثناء مناقشاته مع قومه ودعوتهم إلى الإسلام، إذ الأمر لم يكن يحتمل ذلك.

ونظرا لأهمية التدرج في الدعوة إلى الله وأثرها في استجابة كثير من الناس كان ذلك من وصايا رسول الله ﷺ الذي أدرك أهمية هذا الأمر فجعله منهجًا لأمته وللدعاة جميعا في كل زمان ومكان، كيف لا وهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

ويتضح هذا الأمر جليا في هذا الحديث حيث أوصى معاذ بن جبل لما بعثه إلى اليمن أن يدعوهم أول الأمر إلى توحيد الله ﷻ وإلى الدخول في الإسلام، فإن هم استجابوا دعاهم إلى بقية الأمور شيئا فشيئا يبدأ بالأهم فالأهم وهكذا ينبغي عدم التسرع في عرض كل ما في الإسلام دفعة واحدة حتى لا يشق عليهم، ويكون ذلك سببا في صدودهم عن الإسلام.

ولا شك أن هذا المنهج ينم عن حكمة ورحمة بالمقبلين على الإسلام حيث إن تحول الإنسان من أمر شب عليه ومعتقدات ترسخت في قلبه ليس بالأمر

السهل اليسير، فينبغي التدرج والتريث في الدعوة حتى تؤتي أكلها الطيبة وثمارها اليانعة فهو من باب ترويض النفوس على تقبل أحكام الله، كما أنه يتلاءم مع منهج التغيير بشكل عام، إذ لا يمكن تغيير أوضاع المجتمعات لتتفق مع الشريعة إلا بأسلوب التدرج.

هذا التدرج في الدعوة هو الذي يجعل كثيرا من الناس يقبلون على هذا الدين، ويتمسكون به.

إن المتتبع لأحكام الإسلام وسيرة النبي ﷺ يجد ذلك واضحا جليا في جميع أحكام الإسلام وتشريعاته فالخمر مثلا لم تحرم دفعة واحدة، وإنما بالتدريج وعلى مراحل، والصلاة لم تفرض من أول بعثة النبي وكذلك بقية أحكام الإسلام وإنما بالتدريج.

رابعاً: تلمس الداعية لأحاسيس ومشاعر المدعويين:

عن أَبِي سُلَيْمَانَ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ قَالَ: «**أَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً فَظَنَّ أَنَّا اشْتَقْنَا أَهْلَنَا وَسَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا فِي أَهْلِنَا فَأَخْبَرْنَاهُ وَكَانَ رَفِيقًا رَحِيمًا فَقَالَ ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ فَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي وَإِذَا حَضَرَتْ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ ثُمَّ لِيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ**»[1]،

(١) رواه البخاري – كتاب الأدب – باب رحمة الناس والبهائم ١٠/ ٤٣٨ (٦٠٠٨) ورواه في=



وهنا نلمس هـذا الجانـب العظـيم في هديـه ﷺ، وتلمسـه لأحاسـيس أتباعـه وتلاميذه «**فَظَنَّ أَنَّا اشْتَقْنَا أَهْلَنَا**» وها هو يسألهم عمن تركـوا وراءهـم، ويخفـف عليهم «**ارْجِعُـوا إِلَى أَهْلِـيكُمْ فَعَلِّمُـوهُمْ**» فيـا لله كـم كـان رحـيما بهـم! دون أن يسألوه، ودون أن يحوجهم إلى السؤال، فهل يفعل المربون والدعاة ذلك؟ وهـل يتحسسون هموم الناس ومشاكلهم؟ إذا فعل الدعاة ذلك أحبهم الناس وانقادوا لهم بسهولة ويسر، وكانوا سببا في هدايتهم.

خامساً: استقبال المدعو وحسن ضيافته:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ «أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ ضَافَهُ ضَيْفٌ وَهُوَ كَافِرٌ فَأَمَرَ لَهُ رَسُـولُ اللهَّ ﷺ بِشَاةٍ فَحُلِبَتْ فَشَرِبَ حِلَابَهَا ثُمَّ أُخْرَى فَشَرِبَهُ ثُـمَّ أُخْـرَى فَشَرِبَهُ حَتَّـى شَرِبَ حِلَابَ سَبْعِ شِيَاهٍ ثُمَّ إِنَّهُ أَصْبَحَ فَأَسْلَمَ فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللهَّ ﷺ بِشَاةٍ فَشَرِبَ حِلَابَهَا ثُمَّ أَمَرَ بِأُخْرَى فَلَمْ يَسْتَتِمَّهَا فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ «الْمُؤْمِنُ يَشْرَبُ فِي مِعًـى

=كتاب الأدب المفرد ٥٤، ٥٥ (٢١٣) ومسلم ١/ ٤٦٥، ٤٦٦ كتـاب المسـاجد ومواضـع الصلاة – باب من أحق بالإمامة ١/ ٤٦٥، ٤٦٦(٢٩٢، ٢٩٣) والنسـائي – كتـاب الأذان – باب اجتزاء المـرء بـأذان غـيره في الحضرـ ٢/ ٩ وأحمـد ٣/ ٤٣٦، ٥/ ٥٣ وابـن خزيمـة ١/ ٢٠٦، ٢٠٧ (٣٩٧، ٣٩٨) و١/ ٢٩٥(٥٨٦)، والـدار قطنـي ١/ ٢٧٢، ٢٧٣ كتـاب الصلاة – باب ذكر الأمر بالأذان والإمامة وأحقهما (١، ٢).

وَاحِدٍ وَالْكَافِرُ يَشْرَبُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ»[1].

وقد اختلف في اسم هذا الضيف فقيل هو ثمامة بن أثال وقيل جهجاه الغفاري وقيل نضرة بن أبي نضرة الغفاري[2].

وأرجح أن يكون جهجاه الغفاري[3] حيث إنه روى القصة متحدثًا عن نفسه كما ورد عند الطبراني «**أَنَّهُ قَدِمَ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ يُرِيدُونَ الإِسْلامَ، فَحَضَرُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَغْرِبَ، فَلَمَّا سَلَّمَ، قَالَ: «يَأْخُذُ كُلُّ رَجُلٍ بِيَدِ جَلِيسِهِ»، فَلَمْ يَبْقَ فِي الْمَسْجِدِ غَيْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَغَيْرِي، وَكُنْتُ عَظِيمًا طَوِيلا لا يُقَدَّمُ عَلَيَّ أَحَدٌ، فَذَهَبَ بِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَحَلَبَ لِي عَنْزًا، فَأَتَيْتُ عَلَيْهَا حَتَّى حَلَبَ لِي سَبْعَ أَعْنُزٍ، فَأَتَيْتُ عَلَيْهَا، ثُمَّ أُتِيتُ بِصَنِيعِ بُرْمَةٍ، فَأَتَيْتُ عَلَيْهَا، وَقَالَتْ أُمُّ أَيْمَنَ: أَجَاعَ اللَّهُ مَنْ أَجَاعَ رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ اللَّيْلَةَ، قَالَ: «مَهْ يَا أُمَّ أَيْمَنَ أَكَلَ رِزْقَهُ، وَرِزْقُنَا عَلَى اللَّهِ»، فَأَصْبَحُوا فَغَدَوْا، فَاجْتَمَعَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يُخْبِرُ بِمَا**

---

(١) رواه مسلم واللفظ له في كتاب الأشربة – باب المؤمن يأكل في معى واحد ٣/ ١٦٣٢ (٢٠٦٣)، والترمذي في كتاب الأطعمة – باب ما جاء أن المؤمن يأكل في معى واحد ٤/ ٢٦٧ (١٨١٩) ومالك في الموطأ ٢/ ٩٢٤ (١٠) وأبو عوانة ٥/ ٤٢٧.

(٢) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ١٤/ ٢٦.

(٣) جهجاه بن سعيد الغفاري شهد بيعة الرضوان بالحديبية، وكان أجيرا لعمر بن الخطاب، وعاش إلى خلافة عثمان. انظر: الإصابة ١/ ٢٥٤

أُتِيَ إِلَيْهِ، فَقَالَ جَهْجَاهٌ: حُلِبَتْ لِي سَبْعُ أَعْنُزٍ، فَأَتَيْتُ عَلَيْهَا وَصَنِيعُ بُرْمَةٍ فَأَتَيْتُ عَلَيْهَا، فَصَلَّوْا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْمَغْرِبَ، فَقَالَ: «لِيَأْخُذْ كُلُّ رَجُلٍ بِيَدِ جَلِيسِهِ»، فَلَمْ يَبْقَ فِي الْمَسْجِدِ غَيْرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَغَيْرِي، وَكُنْتُ عَظِيمًا طَوِيلا لا يُقَدَّمُ عَلَيَّ أَحَدٌ فَذَهَبَ بِي رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَحَلَبَ لِي عَنْزًا، فَرُوِّيتُ وَشَبِعْتُ، فَقَالَتْ أُمُّ أَيْمَنَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَلَيْسَ هَذَا ضَيْفَنَا؟ قَالَ: «بَلَى»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّهُ أَكَلَ فِي مِعَى مُؤْمِنٍ اللَّيْلَةَ، وَأَكَلَ قَبْلَ ذَلِكَ فِي مِعَى كَافِرٍ، الْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ، وَالْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مِعًى وَاحِدٍ»[1].

وأما في كونه ثمامة بن أثال[2] فثمامة كان أسيرا وأحسن إليه النبي ﷺ وكان ذلك سببا في إسلامه كما ورد في الصحيحين عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: «بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْلًا قِبَلَ نَجْدٍ فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ مَا عِنْدَكَ

---

(١) المعجم الكبير ٢/ ٢٧٤(٢١٥٢). قلت إسناده ضعيف فيه موسى بن عبيده. انظر: التهذيب ١٠/ ٣١٨، ميزان الاعتدال ٦/ ٥٥١

(٢) ثمامة بن أثال بن النعمان، من بني حنيفة، كان سيد أهل اليمامة، له شعر، كان عرض لرسول الله فأراد قتله، فدعا أن يمكنه ربه منه فكانت قصة إسلامه المذكورة في الحديث، وقد ثبت على إسلامه حين ارتد أهل اليمامة. انظر: أسد الغابة ١/ ٢٤٦-٢٤٨، الاستيعاب ١/ ٢١٣ – ٢١٦، الإصابة ١/ ٢٠٤.

يَا ثُمَامَةُ فَقَالَ عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ إِنْ تَقْتُلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ فَتُرِكَ حَتَّى كَانَ الْغَدُ ثُمَّ قَالَ لَهُ مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ قَالَ مَا قُلْتُ لَكَ إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ فَقَالَ مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ فَقَالَ عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ فَقَالَ أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ فَانْطَلَقَ إِلَى نَجْلٍ قَرِيبٍ مِنْ الْمَسْجِدِ فَاغْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَقَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ يَا مُحَمَّدُ وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيَّ وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ فَمَاذَا تَرَى فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ صَبَوْتَ قَالَ لَا وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا وَاللَّهِ لَا يَأْتِيكُمْ مِنْ الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ»[1].

وفي هذه الأحاديث بيان لما كان يتمتع به النبي ﷺ من رحمة وتسامح

(١) رواه البخاري واللفظ له في كتاب المغازي – باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال ٨/ ٨٧ (٤٣٧٢) ومسلم في كتاب الجهاد والسير – باب ربط الأسير وحبسه وجواز المن عليه.



وعفو عن المسيء.

وفي الحديث كذلك تعظيم أَمْر الْعَفْو عَنْ الْمُسِيء لِأَنَّ ثُمَامَة أَقْسَمَ أَنَّ بُغْضه اِنْقَلَبَ حُبًّا فِي سَاعَة وَاحِدَة لِمَا أَسْدَاهُ النَّبِيّ ﷺ إِلَيْهِ مِنْ الْعَفْو وَالْمَنّ بِغَيْرِ مُقَابِل، وَفِيهِ الْمُلَاطَفَة بِمَنْ يُرْجَى إِسْلَامه مِنْ الْأَسَارَى إِذَا كَانَ فِي ذَلِكَ مَصْلَحَة لِلْإِسْلَامِ، وَلَا سِيَّمَا مَنْ يَتْبَعُهُ عَلَى إِسْلَامه الْعَدَد الْكَثِير مِنْ قَوْمه[1].

سادساً: زيارة المدعو والاهتمام بما يصيبه:

عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ:

«كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرِضَ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ أَسْلِمْ فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ فَأَسْلَمَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنْ النَّارِ»[2].

وفي رواية قال النبي ﷺ لأصحابه: «**صلوا على أخيكم**».

* * *

---

(١) انظر: فتح الباري ٨/ ٨٨.

(٢) رواه البخاري كتاب الجنائز – باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه؟ ٣/ ٢١٩ وكتاب المرضى – باب عيادة المشرك (٥٦٥٧)، ورواه أبو داود في كتاب الجنائز – باب عيادة الذمي ٣/ ١٨٥ (٣٠٩٥)، ورواه أحمد ٣/ ١٧٥، ٢٢٧، ٢٦٠، ٢٨٠.

المبحث الثاني
الرحمة بالجاهل

كان المجتمع الإسلامي الأول عبارة عن خليط من أصناف البشر، فيهم العالم والجاهل والحاضر والبادي واللين والقاسي وكانوا على اختلافهم يجدون من فيض رحمته ﷺ ما يأخذ بأيديهم إلى جادة الصواب بلا قسوةٍ ولا شدة. ومن يقرأ سيرته ﷺ يتملّكه العجب من بعض تلك المواقف، فلم تكن سفاهة السفيه وجهل الجاهل تزيده إلا رحمةً وحلماً وصبراً وأناةً وسعة بالٍ.

وتلك المواقف كثيرة، ونقتبس منها ما يلي:

الحديث الأول:

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: «**بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَهْ مَهْ**[1] **قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا تُزْرِمُوهُ**[2] **دَعُوهُ فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ «إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلَا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ**

---

(١) مه مه – هي كلمة زجر. انظر النووي في شرح صحيح مسلم ٣/ ١٩٣.

(٢) لاتزرموه – أي لا تقطعوا عليه بوله. انظر: النهاية ٢/ ٣٠١.



اللهَّ ﻷ وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ قَالَ فَأَمَرَ رَجُلًا مِنْ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ(١) عَلَيْهِ»(٢).

وَفِي الحديث الرِّفْقُ بِالْجَاهِلِ وَتَعْلِيمه مَا يَلْزَمُهُ مِنْ غَيْرِ تَعْنِيفٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْهُ عِنَادًا، وَلَاسِيَّمَا إِنْ كَانَ مِمَّنْ يُحْتَاجُ إِلَى اسْتِئْلَافه(٣).

فإننا نلمس حسن تعامل النَّبِيِّ ﷺ وَحُسْنَ خُلُقِهِ وتصرفه من نهيه الصحابة أن يقطعوا على الأعرابيّ بوله وفي ذلك مصلحتان كما قال النووي رحمه الله:

إِحْدَاهُمَا أَنَّهُ لَوْ قَطَعَ عَلَيْهِ بَوْله تَضَرَّرَ، وَأَصْل التَّنْجِيس قَدْ حَصَلَ فَكَانَ احْتِمَال زِيَادَته أَوْلَى مِنْ إِيقَاع الضَّرَر بِهِ.

---

(١) الشن – الصب المنقطع. انظر: النهاية ٢/ ٥٠٧

(٢) رواه البخاري – كتاب الوضوء – ترك النبي ﷺ والناس الأعرابي حتى فرغ من بوله ١/ ٣٢٢(٢١٩) وباب صب الماء على البول في المسجد ١/ ٣٢٤ (٢٢١) وكتاب الأدب – باب الرفق بالأمر كله ١٠/ ٤٤٩ (٦٠٢٥)، ومسلم واللفظ له في كتاب الطهارة – باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد ١/ ٢٣٦، ٢٣٧ (٢٨٤، ٢٨٥)، والترمذي – كتاب الطهارة – باب ما جاء في البول يصيب الأرض ١/ ٢٧٦، ٢٧٧(١٤٨)، والنسائي– كتاب الطهارة – باب ترك التوقيت في الماء ١/ ، وابن ماجه – كتاب الطهارة – باب الأرض يصيبها البول كيف تغسل ١/ ١٧٦ (٥٢٨) ١٤٧، ١٤٨، وأحمد ٣/ ١١٠، ١١٤، ١٩١، ٢٢٦، والدارمي ١/ ١٨٩البول في المسجد.

(٣) انظر: فتح الباري ١/ ٣٢٥.

وَالثَّانِيَة: أَنَّ التَّنْجِيس قَدْ حَصَلَ فِي جُزْء يَسِير مِنْ الْمَسْجِد فَلَوْ أَقَامُوهُ فِي أَثْنَاء بَوْله لَتَنَجَّسَتْ ثِيَابه وَبَدَنه وَمَوَاضِع كَثِيرَة مِنْ الْمَسْجِد[1].

وللحديث شاهد من حديث أبي هريرة قال:

«دَخَلَ أَعْرَابِيٌّ الْمَسْجِدَ وَالنَّبِيُّ ﷺ جَالِسٌ فَصَلَّى فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا وَلَا تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ لَقَدْ تَحَجَّرْتَ[2] وَاسِعًا فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ بَالَ فِي الْمَسْجِدِ فَأَسْرَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ أَهْرِيقُوا عَلَيْهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ أَوْ دَلْوًا مِنْ مَاءٍ ثُمَّ قَالَ إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»[3].

وعند الإمام أحمد رواية فيها زيادة: قَالَ: **«يَقُولُ الْأَعْرَابِيُّ بَعْدَ أَنْ فَقِهَ: فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيَّ، بِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، فَلَمْ يَسُبَّ، وَلَمْ يُؤَنِّبْ، وَلَمْ يَضْرِبْ»**[4].

---

(١) النووي على شرح صحيح مسلم ٣/ ١٩١.

(٢) أي: ضيقت ما وسعه الله، وخصصت به نفسك دون غيرك. النهاية ١/ ٣٤٢.

(٣) رواه أبو داود ١/ ١٠٣(٣٨٠)، والترمذي ١/ ٢٧٥(١٤٧) وقال: حسن صحيح واللفظ له، والنسائي ٣/ ١٤(١٢١٧)، وأحمد ٢/ ٢٨٣. قلت: إسناده صحيح وصححه الألباني. انظر: إرواء الغليل ١/ ١٩٠(١٧١).

(٤) مسند أحمد- تحقيق الشيخ شعيب وآخرين ١٦/ ٣١٦ (١٠٥٣٤).

أرأيتم كيف أثرت هذه المعالجة الحكيمة في نفس الرجل، وجعلته ممتنا للنبي ﷺ لهذه المعاملة اللطيفة، ثم هو منهج يعلمنا إياه الرحمة المهداة الخبير بما يصلح النفوس ويقوِّم اعوجاجها «**إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ**».

أيها المعلمون، أيها المربون، أيها الدعاة إلى الله:

ليكن هذا شعاركم، الرفق والأناة لا الغلظة والتعنيف، وليكن هدفكم... التيسير والإصلاح لا التعسير والتنفير وليكن لنا في رسول الله أسوة حسنة.

الحديث الثاني:

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ[1] قَالَ: «**بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ فَقُلْتُ يَرْحَمُكَ اللهُ فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ فَقُلْتُ وَاثكل أُمِّيَاه[2] مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي[3] لَكِنِّي سَكَتُّ فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ**

---

(١) معاوية بن الحكم السلمي – كان ينزل المدينة ويسكن في بني سليم. له عن النبي ﷺ حديث واحد، قال ابن حجر: له حديث آخر من طريق ابنه كثير، وهو معدود في أهل المدينة. انظر: الاستيعاب ٣/ ١٤١٤، ١٤١٥، الإصابة ٣/ ٤١١، ٤١٢، التهذيب ١٠/ ١٨٥.

(٢) وَاثكل أُمِّيَاه: أي فقدتني أمي. النهاية ١/ ٢١٧.

(٣) يُصَمِّتُونَنِي: أي يسكتونني. النهاية ٣/ ٥١.

مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ فَوَاللهِ مَا كَهَرَنِي[1] وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي قَالَ إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ وَقَدْ جَاءَ اللهُ بِالْإِسْلَامِ وَإِنَّ مِنَّا رِجَالًا يَأْتُونَ الْكُهَّانَ قَالَ فَلَا تَأْتِهِمْ قَالَ وَمِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ قَالَ ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ فَلَا يَصُدَّنَّهُمْ قَالَ قُلْتُ وَمِنَّا رِجَالٌ يَخُطُّونَ[2] قَالَ كَانَ نَبِيٌّ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ يَخُطُّ فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ فَذَاكَ. قَالَ وَكَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لِي قِبَلَ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ[3] فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِيب قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا

---

(١) مَا كَهَرَنِي: ما نهرني. النهاية ٤/ ٢١٤.

(٢) قال ابن عباس: الخَطُّ هو الذي يَخُطّه الحازِي وهو عِلْمٌ قد تَركه الناس يأتي صاحبُ الحاجةِ إلى الحازِي فيُعْطِيه حُلْواناً فيقولُ له اقْعُدْ حتى أَخُطَّ لك وبين يَدَي الحازي غُلام له معه مِيلٌ ثم يأتي إلى أرضٍ رِخْوة فيخُطّ فيها خُطوطاً كثيرة بالعَجَلة لـئلا يَلْحَقَها العَدَدُ ثم يَرْجع فيَمْحو منها على مَهَل خَطَّين خَطَّين وغُلامه يقول للتَّفاؤُل: ابنَيْ عِيان أسْرِعا البيان، فإن بَقِيَ خَطّان فهما علامةُ النجْح وإن بقي خَطٌّ واحد فهو علامة الخَيْبة. انظر: النهاية ٢/ ٤٧.

(٣) الجَوَّانِيَّةِ: منطقة داخل المدينة المنورة بينها وبين أحد وذكر في معجم البلدان ٢/ ١٧٥ أنها قرية قرب المدينة.



أُعْتِقُهَا قَالَ ائْتِنِي بِهَا فَأَتَيْتُهُ بِهَا فَقَالَ لَهَا أَيْنَ اللَّهُ قَالَتْ فِي السَّمَاءِ قَالَ مَنْ أَنَا قَالَتْ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»(١).

وفي رواية أبي داود: «**فَمَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَطُّ أَرْفَقَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ**»(٢).

وفي الحديث: بَيَان مَا كَانَ عَلَيْهِ رَسُول اللَّه ﷺ مِنْ عَظِيم الْخُلُق الَّذِي شَهِدَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ بِهِ، وَرِفْقه بِالْجَاهِلِ، وَرَأْفَته بِأُمَّتِهِ، وَشَفَقَته عَلَيْهِمْ.

وَفِيهِ التَّخَلُّق بِخُلُقِهِ ﷺ فِي الرِّفْق بِالْجَاهِلِ، وَحُسْن تَعْلِيمه وَاللُّطْف بِهِ، وَتَقْرِيب الصَّوَاب إِلَى فَهْمه، فلم يضجر من كثرة أسئلته، ولم يستهن به، بل أجابه بتؤدة وأناة.

الحديث الثالث:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ:

«**كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ أَثَّرَتْ بِهِ**

---

(١) رواه مسلم واللفظ له في كتاب المساجد ١/ ٣٨١(٥٣٧)، وأبو داود – كتاب الصلاة ١/ ٢٤٤ (٩٣٠، ٩٣١)، والنسائي – كتاب السهو ٣/ ١٤(١٢١٦) وفي الكبرى ١/ ١٩٨ (٥٥٦) وأحمد ٥/ ٤٤٧، ٤٤٨.

(٢) سنن أبي داود ١/ ٢٤٤.

حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ ثُمَّ قَالَ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ»(١).

وفي رواية:

«فَجَاذَبَهُ حَتَّى انْشَقَّ الْبُرْدُ وَحَتَّى بَقِيَتْ حَاشِيَتُهُ فِي عُنُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»(٢).

قال ابن حجر:

وَفِي الْحَدِيث بَيَان حِلْمه ﷺ وَصَبْره عَلَى الْأَذَى فِي النَّفْس وَالْمَال وَالتَّجَاوُز عَلَى جَفَاء مَنْ يُرِيد تَأَلُّفه عَلَى الْإِسْلَام، وَلِيَتَأَسَّى بِهِ الْوُلَاة بَعْده فِي خُلُقه الْجَمِيل مِنْ الصَّفْح وَالْإِغْضَاء وَالدَّفْع بِالَّتِي هِيَ أَحْسَن(٣).

الحديث الرابع:

عن أبي هُرَيْرَةَ: **«كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَجْلِسُ مَعَنَا فِي الْمَجْلِسِ يُحَدِّثُنَا فَإِذَا قَامَ قُمْنَا قِيَامًا حَتَّى نَرَاهُ قَدْ دَخَلَ بَعْضَ بُيُوتِ أَزْوَاجِهِ فَحَدَّثَنَا يَوْمًا فَقُمْنَا حِينَ قَامَ فَنَظَرْنَا إِلَى**

(١) رواه البخاري واللفظ له في كتاب فرض الخمس – باب ما كان يعطي النبي المؤلفة قلوبهم ٦/ ٢٥١(٣١٤٩)،كتاب اللباس ١٠/ ٣٧٥(٥٨٠٩) وكتاب الأدب ١٠/ ٥٠٣(٦٠٨٨)، ورواه مسلم – كتاب الزكاة – باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة ٢/ ٧٣٠(١٠٥٧)، وأحمد ٣/ ١٥٣، ٢١٠، ٢٢٤ وابن حبان ٨/ ٩٨(٦٣٤١).

(٢) صحيح مسلم- كتاب الزكاة – باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة ٢/ ٧٣٠(١٠٥٧).

(٣) فتح الباري ١٠/ ٥٠٦.



أَعْرَابِيٌّ قَدْ أَدْرَكَهُ فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ فَحَمَّرَ رَقَبَتَهُ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَكَانَ رِدَاءً خَشِنًا فَالْتَفَتَ فَقَالَ لَهُ الْأَعْرَابِيُّ احْمِلْ لِي عَلَى بَعِيرَيَّ هَذَيْنِ فَإِنَّكَ لَا تَحْمِلُ لِي مِنْ مَالِكَ وَلَا مِنْ مَالِ أَبِيكَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لَا أَحْمِلُ لَكَ حَتَّى تُقِيدَنِي مِنْ جَبْذَتِكَ الَّتِي جَبَذْتَنِي فَكُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ لَهُ الْأَعْرَابِيُّ وَاللَّهِ لَا أُقِيدُكَهَا فَذَكَرَ الْحَدِيثَ قَالَ ثُمَّ دَعَا رَجُلًا فَقَالَ لَهُ احْمِلْ لَهُ عَلَى بَعِيرِيه هَذَيْنِ عَلَى بَعِيرٍ شَعِيرًا وَعَلَى الْآخَرِ تَمْرًا ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيْنَا فَقَالَ انْصَرِفُوا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ تَعَالَى»[1].

ما أعظم ذلك الخلق الرفيع الذي امتاز به النبي ﷺ، كان في مقدوره أن يؤدب ذلك الأعرابي على صنيعه، ولكن لم تكن تلك من شيم ولا أخلاق النبي ﷺ.

---

(١) رواه أبو داود واللفظ له في كتاب الأدب – باب في الحلم وأخلاق النبي ﷺ ٤/ ٢٤٧ (٤٧٧٥)، والنسائي في كتاب القسامة – باب القود من الجبذة ٨/ ٣٣، وأحمد ٢/ ٢٨٨.
قلت: الحديث تفرد به مُحَمَّد بْن هِلَال بن أبي هلال عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَة عَنْ النَّبِيّ ﷺ. وَسُئِلَ الْإِمَام أَحْمَد عَنْ مُحَمَّد بْن هِلَال فَقَالَ ثِقَة وَقَالَ مَرَّة لَيْسَ بِهِ بَأْس. وَسُئِلَ أَبُو حَاتِم الرَّازِيُّ عَنْ مُحَمَّد بْن هِلَال قَالَ صَالِح وَأَبُوهُ لَيْسَ بِالْمَشْهُورِ. انظر: تهذيب الكمال ٢٦/ ٥٦٩، التهذيب ٩/ ٤٣٩ وقال الذهبي: هلال بن أبي هلال: لا يعرف. انظر: ميزان الاعتدال ٧/ ١٠٢ وقال ابن حجر: مقبول. انظر: التقريب ٥٧٦. قلت: ويشهد له حديث أنس السابق وهو في الصحيحين.

الحديث الخامس:

عَنْ عَبْدِ اللهَّ بن سَلامٍ، قَالَ: «إِنَّ اللهَّ لَمَّا أَرَادَ هُدَى زَيْدِ بن سعنة[1]، قَالَ زَيْدُ ابن سعنة: مَا مِنْ عَلامَاتِ النُّبُوَّةِ شَيْءٌ إِلا وَقَدْ عَرَفْتُهَا فِي وَجْهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ إِلا اثْنَتَيْنِ لَمْ أَخْبُرْهُمَا مِنْهُ، يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلَهُ وَلا تَزِيدُ شِدَّةُ الْجَهْلِ عَلَيْهِ إِلا حِلْمًا، فَكُنْتُ أَلْطُفُ لَهُ لأَنْ أُخَالِطَهُ، فَأَعْرِفَ حِلْمَهُ مِنْ جَهْلِهِ. قَالَ زَيْدُ بن سعنة: فَخَرَجَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ يَوْمًا مِنَ الْحُجُرَاتِ وَمَعَهُ عَلِيُّ بن أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُّ تَعَالَى عَنْهُ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَتِهِ كَالْبَدَوِيِّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهَّ، إِنَّ بُصْرَى قَرْيَةَ بني فُلانٍ قَدْ أَسْلَمُوا، وَدَخَلُوا فِي الإِسْلامِ، وَكُنْتُ حَدَّثْتُهُمْ إِنْ أَسْلَمُوا أَتَاهُمُ الرِّزْقُ رَغَدًا، وَقَدْ أَصَابَتْهُمْ سَنَةٌ وَشِدَّةٌ وقُحُوطٌ مِنَ الْغَيْثِ، فَأَنَا أَخْشَى يَا رَسُولَ اللهَّ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ الإِسْلامِ طَمَعًا كَمَا دَخَلُوا فِيهِ طَمَعًا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُرْسِلَ إِلَيْهِمْ بِشَيْءٍ تُعِينُهُمْ بِهِ فَعَلْتَ، فَنَظَرَ إِلَى رَجُلٍ إِلَى جَانِبِهِ أُرَاهُ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُّ تَعَالَى عَنْهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهَّ، مَا بَقِيَ مِنْهُ شَيْءٌ، قَالَ زَيْدُ بن سعنة: فَدَنَوْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا مُحَمَّدُ، هَلْ لَكَ أَنْ تَبِيعَنِي تَمْرًا مَعْلُومًا مِنْ حَائِطِ بني فُلانٍ إِلَى أَجلِ كَذَا وَكَذَا؟ فَقَالَ: لا يَا يَهُودِيُّ، وَلَكِنِّي أَبِيعُكَ تَمْرًا مَعْلُومًا إِلَى أَجلِ كَذَا وَكَذَا، وَلا تُسَمِّي

(١) زيد بن سعنه الحبر. أحد أحبار يهود ومن أكثرهم مالاً، فحسن إسلامه، وشهد مع النبي ﷺ مشاهد كثيرة، وتوفي في غزوة تبوك مقبلاً إلى المدينة. أسد الغابة ٢/ ٢٣١.



حَائِطَ بني فُلانٍ، قُلْتُ: بَلَى، فَبَايَعَنِي فَأَطْلَقْتُ هِمْيَانِي[1]، فَأَعْطَيْتُهُ ثَمَانِينَ مِثْقَالا مِـنْ ذَهَبٍ فِي تَمْرٍ مَعْلُومٍ إِلَى أَجلِ كَـذَا وَكَـذَا، فَأَعْطَاهَـا الرَّجُـلَ، فَقَـالَ: اغْـدُ عَلَـيْهِمْ فَأَعِنْهُمْ بِهَا، فَقَالَ زَيْدُ بن سعنة: فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ مَحَلِّ الأَجَلِ بِيَوْمَيْنِ أَوْ ثَـلاثٍ، أَتَيْتُـهُ فَأَخَذْتُ بِمَجَامِعِ قَمِيصِـهِ وَرِدَائِـهِ، وَنَظَـرْتُ إِلَيْـهِ بِوَجْـهٍ غَلِـيظٍ، فَقُلْـتُ لَـهُ: أَلا تَقْضِينِي يَا مُحَمَّدُ حَقِّي؟ فَوَ اللهِ مَا عَلِمْتُكُمْ بني عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَمُطْـلٌ، وَلَقَـدْ كَـانَ لِي بِمُخَـالَطَتِكُمْ عَلِـمٌ، وَنَظَـرْتُ إِلَى عُمَـرَ، وَإِذَا عَيْنَـاهُ تَـدُورَانِ فِي وَجْهِـهِ كالْفَلَـكِ الْمُسْتَدِيرِ، ثُمَّ رَمَانِي بِبَصَرِهِ، فَقَالَ: يَا عَدُوَّ اللهِ أَتَقُولُ لِرَسُـولِ اللهِ ﷺ مَـا أَسْـمَعُ، وَتَصْنَعُ بِهِ مَا أَرَى، فَوَ الَّذِي بَعَثَهُ بِـالْحَقِّ لَـوْلا مَـا أُحَـاذِرُ فَوْتَـهُ لَضَرَـبْتُ بِسَـيْفِي رَأْسَكَ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَنْظُرُ إِلَى عُمَرَ فِي سُكُونٍ وتُؤَدَةٍ، ثُمَّ قَالَ: يَـا عُمَـرُ، أَنَـا وَهُوَ كُنَّا أَحْوَجَ إِلَى غَيْرِ هَذَا، أَنْ تَـأْمُرَنِي بِحُسْـنِ الأَدَاءِ، وتَـأْمُرَهُ بِحُسْـنِ التِّبَاعَـةِ، اذْهَبْ بِهِ يَا عُمَرُ وأَعْطِهِ حَقَّهُ وَزِدْهُ عِشْرِينَ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ مَكَـانَ مَـا رَوَّعْتَـهُ، قَـالَ زَيْدٌ: فَذَهَبَ بِي عُمَرُ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ، فَأَعْطَانِي حَقِّـي، وَزَادَنِي عِشْرِـينَ صَـاعًا مِنْ تَمْرٍ، فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ الزِّيَادَةُ يَا عُمَرُ؟ فَقَالَ: أَمَـرَنِي رَسُـولُ اللهِ ﷺ أَنْ أَزِيـدَكَ مَكَانَ مَا رَوَّعْتُكَ، قُلْتُ: وتَعْرِفُنِي يَا عُمَرُ؟ قَالَ: لا، مَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: أَنَا زَيْـدُ بـن سعنة، قَالَ: الْحَبْرُ، قُلْتُ: الْحَبْرُ، قَالَ: فَـمَا دَعَـاكَ أَنْ فَعَلْـتَ بِرَسُـولِ اللهِ ﷺ مَـا

---

(١) هميان الدراهم – الذي تجعل فيه النفقة. انظر: لسان العرب ١٥/ ٣٦٤.

فَعَلْتَ وَقُلْتَ لَهُ مَا قُلْتَ؟ قُلْتُ: يَا عُمَرُ، لَمْ تَكُنْ مِنْ عَلامَاتِ النُّبُوَّةِ شَيْءٌ إِلا وَقَدْ عَرَفْتُهُ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ إِلا اثْنَتَيْنِ لَمْ أَخْبُرْهُمَا مِنْهُ، يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلَهُ، وَلا يَزِيدُهُ الْجَهْلُ عَلَيْهِ إِلا حِلْمًا، فَقَدْ أُخْبِرْتُهُمَا، فَأُشْهِدُكَ يَا عُمَرُ أَنِّي قَدْ رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا وَبِالإِسْلامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، وَأُشْهِدُكَ أَنَّ شَطْرَ مَالِي وَإِنِّي أَكْثَرُهَا مَالا صَدَقَةٌ عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ. فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: أَوْ عَلَى بَعْضِهِمْ، فَإِنَّكَ لا تَسَعُهُمْ. قُلْتُ: أَوْ عَلَى بَعْضِهِمْ، فَرَجَعَ عُمَرُ وَزَيْدٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ زَيْدٌ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ. وَآمَنَ بِهِ وَصَدَّقَهُ وَبَايَعَهُ وَشَهِدَ مَعَهُ مَشَاهِدَ كَثِيرَةً، ثُمَّ تُوُفِّيَ زَيْدٌ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ مُقْبِلا غَيْرَ مُدْبِرٍ، رَحِمَ اللهُ زَيْدًا»[1].

(١) رواه الطبراني – واللفظ له، في المعجم الكبير ٥/ ٣٢٢- ٣٢٣ (٥١٤٧)، وابن حبان ١/ ٥٢١ (٢٨٨)، والحاكم ٢/ ٣٧ (٢٢٣٧)، وقال هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ورواه الأصبهاني في دلائل النبوة ١/ ٢٣٣ (٣٤١)، ورواه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني ٤/ ١١٣ (٢٠٨٢) وأبو الشيخ في كتاب أخلاق النبي ٧٢-٧٣. قال ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ٦٠٦: رجال الإسناد موثقون وقد صرح الوليد فيه بالتحديث ومداره على محمد بن أبي السري الراوي له عن الوليد وثقه ا بن معين ولينه أبو حاتم وقال ابن عدي: محمد كثير الغلط والله أعلم.

ثم قال: ووجدت لقصته شاهداً من وجه آخر لكن لم يسم فيه قال بن سعد: حدثنا يزيد=



من خلال المواقف السابقة يتملكنا العجب من سعة صدر النبي ﷺ في الرحمة بالجهال، وحرصه على تعليمهم، واستمالة قلوبهم، وعفوه عن المسيء منهم، يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلَهُ، ولا يزيده جهل الجاهل إلا حلما، حيث كان هذا من آيات نبوته، التي كانت سببا في إسلام بعض مَن أسلم.

وفي هذا درس للدعاة اليوم، ليقتدوا بالنبي ﷺ، فإذا صادفوا جاهلا أو معوجا، قوموه بالرحمة واللين لا بالعنف والغلظة، فالنفوس جبلت على حب من أحسن إليها.

قال تعالى: ﴿ **خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ** ﴾[1]، وقال أيضا: ﴿ **وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا** ﴾[2].

***

=حدثنا جرير بن حازم حدثني من سمع الزهري يحدث أن يهودياً قال: ما كان بقي شيء من نعت محمد في التوراة إلا رأيته إلا الحلم. فذكر القصة.

(١) سورة الأعراف ١٩٩.

(٢) سورة الفرقان ٦٣.

المبحث الثالث

الرحمة بالعاصي

يحيط بابن آدم أعداء كثيرون من شياطين الإنس والجن، والـنفس الأمـارة بالسوء، وهؤلاء الأعداء يحسنون القبيح، ويقبحون الحسن، ويـدعون الإنسـان إلى الشـهوات، ويقودونـه إلى مهـاوي الـردى، لينحـدر في موبقـات الـذنوب والمعاصي.

ومع وقوع المعصية من ابن آدم فقد يصاحبه ضيق وحرج، وشعور بالذنب والخطيئة، فيوشك أن تنغلق أمامه أبواب الأمل، ويدخل في دائرة اليأس من روح الله، ولكن الله العليم الحكيم، الرؤوف الرحيم، الذي يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير، فتح لعباده أبواب التوبة، وجعل فيها ملاذاً مكيناً، وملجأ حصيناً، يَلِجُه المذنب معترفاً بذنبه ومؤملاً في ربه، نادماً على فعله، غير مصرٍ على خطيئته، فيكفر الله عنه سيئاته، ويرفع من درجاته. قال الله تعالى: ﴿ **قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ** ﴾[1].

(١) سورة الزمر ٥٣.



واعلم أن هذه الآية أرجى آية في كتاب الله سبحانه لاشتمالها على أعظم بشارة، فإنه أوّلاً أضاف العباد إلى نفسه لقصد تشريفهم، ومزيد تبشيرهم، ثم وصفهم بالإسراف في المعاصي، والاستكثار من الذنوب، ثم عقب ذلك بالنهي عن القنوط من الرحمة لهؤلاء المستكثرين من الذنوب، فالنهي عن القنوط للمذنبين غير المسرفين من باب الأولى، وبفحوى الخطاب، ثم جاء بما لا يبقي بعده شك، ولا يخالج القلب عند سماعه ظنّ، فقال: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ** ﴾، فالألف، واللام قد صيرت الجمع الذي دخلت عليه للجنس الذي يستلزم استغراق أفراده، فهو في قوّة إن الله يغفر كلّ ذنب كائناً ما كان، إلا ما أخرجه النصّ القرآني، وهو: الشرك ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ** ﴾(1) ثم لم يكتف بما أخبر عباده به من مغفرة كل ذنب، بل أكد ذلك بقوله: ﴿ **جَمِيعًا** ﴾ فيا لها من بشارة ترتاح لها قلوب المؤمنين المحسنين ظنهم بربهم الصادقين في رجائه، الخالعين لثياب القنوط الرافضين لسوء الظنّ بمن لا يتعاظمه ذنب، ولا يبخل بمغفرته، ورحمته على عباده المتوجهين إليه في طلب العفو الملتجئين به في مغفرة ذنوبهم، وما أحسن ما علل سبحانه به هذا الكلام قائلاً: «**إنه هو**

(1) سورة النساء: ٤٨، ١١٦.

الغفور الرحيم»، أي: كثير المغفرة، والرحمة عظيمهما واسعهما[1].

وقال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2].

والنصوص من الكتاب والسنة جاءت متضافرة في تأكيد هذا المعنى، ولا يخفى ما في التوبة من رحمة بالعصاة والمقصرين، ولكثرة هذه النصوص اكتفينا بالإشارة إليها، وبالإمكان الرجوع إليها في كتب الحديث تحت باب التوبة.

ولكن ما يهم في هذا المبحث، هو مجموع القصص والشواهد التي تبين كيف كان الرسول ﷺ يعامل المخطئين، وكيف كان يحفزهم على الاستقامة والعودة إلى جادة الحق والصواب.

أولاً: الرحمة في الحث على التوبة وقبولها مهما كانت المعصية:

الأحاديث التي حثت على التوبة كثيرة نذكر منها:

١ – عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: «**قَالَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ للهُّ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيِسَ مِنْهَا فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ**

(١) انظر: فتح القدير ٤/ ٤٧٠.

(٢) سورة النور ٣١.



رَاحِلَتِهِ فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ»[1].

٢ – عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَّ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ[2]»[3].

٣ – عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ نَبِيَّ اللهَّ ﷺ قَالَ:

«كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ لَا فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ نَعَمْ وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَّ فَاعْبُدِ اللهَّ مَعَهُمْ وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ فَاخْتَصَمَتْ

---

(١) رواه البخاري في كتاب الدعوات – باب التوبة ٥/ ٢٣٢٥ (٥٩٥٠)، ومسلم – واللفظ له في كتاب التوبة – باب في الحض على التوبة ٤/ ٢١٠٤ (٢٧٤٧)، وأحمد ٣/ ٢١٣.

(٢) أي: تصل الروح الحلقوم. انظر: النهاية ٣/ ٣٦٠.

(٣) رواه الترمذي – كتاب الدعوات – باب في فضل التوبة ٥/ ٥٤٧ (٣٥٣٧) وقال: حديث حسن، ورواه ابن ماجة – كتاب الزهد – باب ذكر التوبة ٢/ ١٤٢٠(٤٢٥٣)، وأحمد ٢/ ١٥٣.

فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ فَقَالَ قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ»(1).

وفي رواية: « فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى هَذِهِ أَنْ تَبَاعَدِي وَإِلَى هَذِهِ أَنْ تَقَرَّبِي».

إن هذه القصة تفتح أبواب الأمل لكل عاص، وتبين سعة رحمة الله، وقبوله لتوبة التائبين،مهما عظمت ذنوبهم وكبرت خطاياهم.

وكذلك تعطي منهجاً للدعاة بألا ييأسوا من إنسان مهما بلغت ذنوبه وخطاياه، فقد تكون هناك بذرة خير في نفسه تحتاج إلى من ينميها.

٤ – عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ «لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى ثَالِثًا وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ»(2).

---

(١) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ٣/ ١٢٨٠ (٣٢٨٣)، ومسلم – واللفظ له – في كتاب التوبة ٤/ ٢١١٨ (٢٧٦٦)، وابن ماجة – كتاب الديات ٢/ ٨٧٥ (٢٦٢٢)، وأحمد ٣/ ٢٠، ٧٢.

(٢) رواه البخاري – كتاب الرقاق ٥/ ٢٣٦٤ (٦٠٧٢)، ومسلم – كتاب الزكاة ٢/ ٧٢٥ (١٠٤٩)، وأحمد ١/ ٣٧٠.



٥ – عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللهُ عَلَيْهِ**»(١).

ثانياً: الرحمة في ستر العصاة:

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾(٢).

١ – عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٣).

٢ – عن عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٤).

---

(١) رواه مسلم – كتاب الذكر والدعاء والتوبة ٤/ ٢٢٠٧٦ (٢٧٠٣)، وأحمد ٢/ ٢٧٥، ٣٩٥، ٤٢٧، ٤٩٥، ٥٠٦.

(٢) سورة النور ١٩.

(٣) رواه مسلم – كتاب البر والصلة والآداب ٤/ ٢٠٠٢ (٢٥٩٠)، وأحمد ٢/ ٣٨٨، ٤٠٤.

(٤) رواه البخاري – كتاب المظالم ٢/ ٨٦٢(٢٣١٠)، ومسلم – كتاب البر والصلة والآداب=

ثالثاً: الرحمة في الدعاء للمشركين والعصاة بالهدى:

١ – عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: «قَدِمَ طُفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ وَأَصْحَابُهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ دَوْسًا عَصَتْ وَأَبَتْ فَادْعُ اللهَ عَلَيْهَا فَقِيلَ هَلَكَتْ دَوْسٌ قَالَ: «اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ»»(١).

٢ – عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الْإِسْلَامِ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا فَأَسْمَعَتْنِي فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا أَكْرَهُ فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الْإِسْلَامِ فَتَأْبَى عَلَيَّ فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَأَسْمَعَتْنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ فَادْعُ اللهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ نَبِيِّ اللهِ ﷺ فَلَمَّا جِئْتُ فَصِرْتُ إِلَى الْبَابِ فَإِذَا هُوَ مُجَافٌ(٢) فَسَمِعَتْ أُمِّي خَشْفَ قَدَمَيَّ(٣) فَقَالَتْ مَكَانَكَ

=٤/ ١٩٩٦ (٢٥٨٠)، وأبو داود – كتاب الأدب ٤/ ٢٧٣ (٤٨٩٣)، والترمذي – كتاب الحدود ٤/ ٣٤ (١٤٢٦).

(١) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم ٣/ ١٠٧٣ (٢٧٧٩)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة ٤/ ١٩٥٧ (٢٥٢٤)، وأحمد ٢/ ٢٤٣، ٤٤٨، ٥٠٢.

(٢) أَيْ مُغْلَقٌ. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ١٦/ ٥٢، وأجاف فلان بابه بمعنى رده عليه.

(٣) خَشْفَ قَدَمَيَّ أَيْ: صَوْتهمَا فِي الْأَرْض. المرجع السابق.

يَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ[1]. قَالَ فَاغْتَسَلَتْ وَلَبِسَتْ دِرْعَهَا وَعَجِلَتْ عَنْ خِمَارِهَا فَفَتَحَتْ الْبَابَ ثُمَّ قَالَتْ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ قَالَ فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا أَبْكِي مِنْ الْفَرَحِ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبْشِرْ قَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَكَ وَهَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ خَيْرًا قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُحَبِّبَنِي أَنَا وَأُمِّي إِلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَيُحَبِّبَهُمْ إِلَيْنَا قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اللَّهُمَّ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هَذَا يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ وَحَبِّبْ إِلَيْهِمْ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا خُلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي وَلَا يَرَانِي إِلَّا أَحَبَّنِي[2].

٣ – عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله: ادع على المشركين قال: **«إني لم أبعث لعانا وإنما بعثت رحمة»**[3].

رابعاً: محاورة العصاة والحرص على توبتهم:

لقد ضرب الحبيب محمد ﷺ مثلا رائعا في الصبر على أصحاب المعاصي،

(١) خَضْخَضَة الْمَاء صَوْت تَحْرِيكه. المرجع السابق.

(٢) رواه مسلم – كتاب الفضائل ٤/ ١٩٣٨ (٢٤٩١)، وأحمد ٢/ ٣١٩.

(٣) رواه مسلم – كتاب البر والصلة والآداب ٤/ ٢٠٠٦ (٢٥٩٩).

وحرصا كبيرا في الاستماع إليهم وإعانتهم في تبديد كل ما يعترضهم من وساوس وشبهات، كما حرص على محاجتهم بالمنطق واللين بعيدا كل البعد عن العنف والقسوة، وإليكم هذا النموذج الرائع الذي ينبغي للعلماء والمربين أن يتخذوه نبراسا لهم في هداية الحيارى، وكل من انغمس في طريق الشهوات والمعاصي.

عَنْ أَبِي أمامة قَالَ:

«إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا!! فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ، قَالُوا: مَهْ مَهْ!!!

فَقَالَ النَّبِيَّ ﷺ: «ادْنُهْ»..

فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا.. فَجَلَسَ.

قَالَ النَّبِيَّ ﷺ: «أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟».

قَالَ: لَا وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ!

قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ» «أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟».

قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ.

قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ» أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟».

قَالَ: لَا وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ..



قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ» «أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟».

قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ.

قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ» «أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟».

قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ.

قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ».

فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ»..

فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ»[1].

خامساً: الرحمة في تطبيق العقوبة على العصاة:

لم يكن الإسلام مولعا بتطبيق العقوبة، وإقامة الحدود، ولا متعطشا إلى إراقة الدماء، بل كان حريصا على إصلاح المجتمع ونظافته وطهره، وإليكم هذه النماذج الرائعة التي تدل على ذلك:

---

(١) رواه أحمد ٥/ ٢٥٦، والطبراني في المعجم الكبير ٨/ ١٦٢(٧٦٧٩) و٨/ ١٨٣(٧٧٥٩)، وفي مسند الشاميين ٢/ ١٣٩(١٠٦٦) و٢/ ٣٧٣(١٥٢٣) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، وقال: رجاله رجال الصحيح ١/ ١٢٩، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، برقم ٣٧٠، وصححه الشيخ شعيب في تحقيق المسند ٤٥/ ١٨٠.

١ – روى مسلم في صحيحه عن سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ:

«جَاءَ مَاعِزُ بْنُ مَالِكٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ طَهِّرْنِي فَقَالَ وَيْحَكَ ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرْ اللهَ وَتُبْ إِلَيْهِ قَالَ فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ طَهِّرْنِي فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَيْحَكَ ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرْ اللهَ وَتُبْ إِلَيْهِ قَالَ فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ طَهِّرْنِي فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى إِذَا كَانَتْ الرَّابِعَةُ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ فِيمَ أُطَهِّرُكَ؟ فَقَالَ مِنْ الزنا، فَسَأَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبِهِ جُنُونٌ فَأُخْبِرَ أَنَّهُ لَيْسَ بِمَجْنُونٍ، فَقَالَ أَشَرِبَ خَمْرًا؟ فَقَامَ رَجُلٌ فَاسْتَنْكَهَهُ(١) فَلَمْ يَجِدْ مِنْهُ رِيحَ خَمْرٍ قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَزَنَيْتَ فَقَالَ نَعَمْ،فَأَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ فَكَانَ النَّاسُ فِيهِ فِرْقَتَيْنِ: قَائِلٌ يَقُولُ لَقَدْ هَلَكَ لَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ وَقَائِلٌ يَقُولُ مَا تَوْبَةٌ أَفْضَلَ مِنْ تَوْبَةِ مَاعِزٍ؛ إِنَّهُ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِهِ ثُمَّ قَالَ اقْتُلْنِي بِالْحِجَارَةِ قَالَ فَلَبِثُوا بِذَلِكَ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً ثُمَّ جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُمْ جُلُوسٌ فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ اسْتَغْفِرُوا لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ فَقَالُوا غَفَرَ اللهُ لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَقَدْ تَابَ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ أُمَّةٍ لَوسعتهم قَالَ ثُمَّ جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ غَامِدٍ مِنْ الْأَزْدِ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللهِ طَهِّرْنِي فَقَالَ وَيْحَكِ ارْجِعِي فَاسْتَغْفِرِي اللهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ فَقَالَتْ أَرَاكَ تُرِيدُ أَنْ تُرَدِّدَنِي كَمَا رَدَّدْتَ مَاعِزَ بْنَ

(١) أي:شم رائحة فمه. النووي على شرح صحيح مسلم ١١/ ٢٠٠.



مَالِكِ قَالَ وَمَا ذَاكِ؟ قَالَتْ إِنَّهَا حُبْلَى مِنْ الزنا فَقَالَ آنْتِ؟ قَالَتْ نَعَمْ، فَقَالَ لَهَا حَتَّى تَضَعِي مَا فِي بَطْنِكِ، قَالَ فَكَفَلَهَا رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ حَتَّى وَضَعَتْ قَالَ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ قَدْ وَضَعَتْ الْغَامِدِيَّةُ، فَقَالَ إِذًا لَا نَرْجُمُهَا وَنَدَعُ وَلَدَهَا صَغِيرًا لَيْسَ لَهُ مَنْ يُرْضِعُهُ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَالَ إِلَيَّ رَضَاعُهُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَالَ فَرَجَمَهَا».

وفي رواية أخرى له أن النبي ﷺ: «قَالَ اذْهَبِي فَأَرْضِعِيهِ حَتَّى تَفْطِمِيهِ فَلَمَّا فَطَمَتْهُ أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فِي يَدِهِ كِسْرَةُ خُبْزٍ فَقَالَتْ هَذَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَدْ فَطَمْتُهُ وَقَدْ أَكَلَ الطَّعَامَ فَدَفَعَ الصَّبِيَّ إِلَى رَجُلٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَحُفِرَ لَهَا إِلَى صَدْرِهَا وَأَمَرَ النَّاسَ فَرَجَمُوهَا فَيُقْبِلُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بِحَجَرٍ فَرَمَى رَأْسَهَا فَتَنَضَّحَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِ خَالِدٍ فَسَبَّهَا فَسَمِعَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ سَبَّهُ إِيَّاهَا فَقَالَ مَهْلًا يَا خَالِدُ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ لَغُفِرَ لَهُ ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا وَدُفِنَتْ».

وفي رواية أن النبي ﷺ «صَلَّى عَلَيْهَا فَقَالَ لَهُ عُمَرُ تُصَلِّي عَلَيْهَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَقَدْ زَنَتْ فَقَالَ لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَوَسِعَتْهُمْ وَهَلْ وَجَدْتَ تَوْبَةً أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا لِلَّهِ تَعَالَى»[1].

---

(١) هذه روايات الإمام مسلم في كتاب الحدود- باب من اعترف على نفسه بالزنا ٣/ ١٣٢١ (١٦٩٥).

نعم لم يكن الإسلام مولعا بتطبيق العقوبة، وإقامة الحدود، ولا متعطشا إلى إراقة الدماء، إنه يطلب من مرتكب الجريمة – أربع مرات – أن يراجع نفسه، فالستر أولى من الفضيحة، فلعل هناك شبهة تدرأ الحد عنه، لكن المذنب يأتي بنفسه راضيا صابرا، لينفذ فيه حكم الله، ولا يحاول الهروب من عقاب الدنيا، فلعل هذا العقاب يجبر كسره، ولعل الله يقبل توبته.

نعم... لَقَدْ تَابَ ماعز تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ أُمَّةٍ لَوسعتهم.

وتابت الغامدية توبة لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَوَسِعَتْهُمْ.

وإقامة الحد بهذه الصورة فيه صيانة لحياء المجتمع، وحفاظ لعفته، وحماية لنقائه وطهارته[1].

وقد تأخذ الرحمة الحقة طابع القسوة وليست كذلك: إن الأطفال عندما يساقون إلى المدارس كرها، ويحفظون الدروس زجرا، فهو من الرحمة بهم، ولو تركوا وأهواءهم لقتلهم اللهو واللعب ولشبوا لا يحسنون صنعا، ولذلك قال الشاعر.

فقسا ليزدجروا ومن يك راحما ❊ فليقس أحيانا على من يرحم

والطبيب عندما يجرى بالجسم جراحة، يستخدم مبضعه لتمزيق اللحم، وقد يضطر لتهشيم العظام وبتر أعضاء، وما يفعل ذلك إلا رحمة بالمريض! !

(١) انظر: أخلاقنا – د. محمد ربيع جوهري ٨٥.

فليست الرحمة حنانا لا عقل معه أو شفقة تتنكر للعدل والنظام. كلا،إنها عاطفة ترعى هذه الحقوق جميعا. إن منظر المشنوق وجسمه يتأرجح في الهواء وعيناه تعشقان الضوء وتطلبان النجاة منظر قد يستدر العطف ولو أجيبت هذه العاطفة السريعة وأطلق سراح القاتل لامتلأت الأرض فوضى، والرحمة الحقة في كبت هذا الشعور ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[1][2].

٢ – عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: «**أَنَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللَّهِ وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ فَأُتِيَ بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ اللَّهُمَّ الْعَنْهُ مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَا تَلْعَنُوهُ فَوَ اللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**»[3].

وذكر ابن حجر الكثير من الفوائد المستفادة من هذا الحديث منها:

١ - الرَّدُّ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُرْتَكِبَ الْكَبِيرَةِ كَافِرٌ، لِثُبُوتِ النَّهْيِ عَنْ لَعْنِهِ وَالْأَمْرِ بِالدُّعَاءِ لَهُ.

---

(١) سورة البقرة ١٧٩.

(٢) انظر: خلق المسلم – محمد الغزالي ٢٢٠.

(٣) رواه البخاري - كتاب الحدود – باب ما يكره من لعن شارب الخمر ٦/ ٢٤٨٩ (٦٣٩٨)، وأبو يعلى في مسنده ١/ ١٦١(١٧٦).

٢- أَنْ لَا تَنَافِيَ بَيْنَ اِرْتِكَاب النَّهْي وَثُبُوت مَحَبَّة اللهَّ وَرَسُوله فِي قَلْب الْمُرْتَكِب لِأَنَّهُ ﷺ أَخْبَرَ بِأَنَّ الْمَذْكُورَ يُحِبُّ اللهَّ وَرَسُوله مَعَ وُجُود مَا صَدَرَ مِنْهُ.

٣- أَنَّ مَنْ تَكَرَّرَتْ مِنْهُ الْمَعْصِيَةُ لَا تُنْزَعُ مِنْهُ مَحَبَّةُ اللهَّ وَرَسُوله.

٤- وَيُؤْخَذ مِنْهُ التَّأْكِيدُ على أَنَّ نَفْي الْإِيمَان عَنْ شَارِب الْخَمْر لَا يُرَاد بِهِ زَوَاله بِالْكُلِّيَّةِ بَلْ نَفْيُ كَمَالِهِ.

وَيَحْتَمِل الأمرُ أَنْ يَكُون اِسْتِمْرَار ثُبُوت مَحَبَّة اللهَّ وَرَسُوله فِي قَلْب الْعَاصِي مُقَيَّدًا بِمَا إِذَا نَدِمَ عَلَى وُقُوع الْمَعْصِيَة وَأُقِيمَ عَلَيْهِ الْحَدّ فَكَفَّرَ عَنْهُ الذَّنْبَ الْمَذْكُورَ، بِخِلَافِ مَنْ لَمْ يَقَع مِنْهُ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يُخْشَى عَلَيْهِ بِتَكْرَارِ الذَّنْبِ أَنْ يُطْبَع عَلَى قَلْبِهِ شَيْءٌ حَتَّى يُسْلَبَ مِنْهُ ذَلِكَ نَسْأَلُ اللهَّ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ[1].

٣ – عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «**أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِسَكْرَانَ فَأَمَرَ بِضَرْبِهِ فَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِيَدِهِ وَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِنَعْلِهِ وَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِثَوْبِهِ فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ رَجُلٌ مَا لَهُ أَخْزَاهُ اللهَّ فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ لَا تَكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ**»[2].

وفي رواية «**لَا تَكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ**».

---

(١) انظر: فتح الباري ١٢/ ٧٨.

(٢) رواه البخاري - كتاب الحدود - باب ما يكره من لعن شارب الخمر ٦/ ٢٤٨٩ (٦٣٩٩)، وأبو داود - كتاب الحدود ٤/ ١٦٢ (٤٤٦٧)، وأحمد ٢/ ٢٩٩.

وَوَجْهُ عَوْنِهِمْ الشَّيْطَانَ بِذَلِكَ أَنَّ الشَّيْطَان يُرِيدُ بِتَزْيِينِهِ لَهُ الْمَعْصِيَةَ أَنْ يَحْصُل لَهُ الْخِزْيُ فَإِذَا دَعَوْا عَلَيْهِ بِالْخِزْيِ فَكَأَنَّهُمْ قَدْ حَصَّلُوا مَقْصُودَ الشَّيْطَانِ(١).

وفي بعض الروايات زيادة في آخره: «**وَلَكِنْ قُولُوا اللَّهُمَّ اِغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ**»(٢).

وَيُسْتَفَادُ مِنْ هذا الحديث والذي قبله مَنْعُ الدُّعَاءِ عَلَى الْعَاصِي بِالْإِبْعَادِ عَنْ رَحْمَةِ اللهِ كَاللَّعْنِ وغيره.

٤ – عَنْ سَلَمَةَ بْنِ صَخْرٍ الْبَيَاضِيِّ قَالَ:

«**كُنْتُ امْرَأً أَسْتَكْثِرُ مِنْ النِّسَاءِ لَا أَرَى رَجُلًا كَانَ يُصِيبُ مِنْ ذَلِكَ مَا أُصِيبُ! فَلَمَّا دَخَلَ رَمَضَانُ ظَاهَرْتُ مِنْ امْرَأَتِي حَتَّى يَنْسَلِخَ رَمَضَانُ، فَبَيْنَمَا هِيَ تُحَدِّثُنِي ذَاتَ لَيْلَةٍ انْكَشَفَ لِي مِنْهَا شَيْءٌ، فَوَثَبْتُ عَلَيْهَا فَوَاقَعْتُهَا، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ غَدَوْتُ عَلَى قَوْمِي فَأَخْبَرْتُهُمْ خَبَرِي، وَقُلْتُ لَهُمْ: سَلُوا لِي رَسُولَ اللهِ ﷺ!!**

فَقَالُوا: مَا كُنَّا نَفْعَلُ إِذًا يُنْزِلَ اللهُ ﷻ فِينَا كِتَابًا أَوْ يَكُونَ فِينَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَوْلٌ فَيَبْقَى عَلَيْنَا عَارُهُ، وَلَكِنْ سَوْفَ نُسَلِّمُكَ لِجَرِيرَتِكَ، اذْهَبْ أَنْتَ فَاذْكُرْ شَأْنَكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ..

---

(١) فتح الباري ١٢/ ٦٧.

(٢) انظر: سنن أبي داود ٤/ ١٦٢، ومسند أحمد ٢/ ٢٩٩.

قَـالَ: فَخَرَجْـتُ حَتَّـى جِئْتُـهُ فَأَخْبَرْتُـهُ الْخَـبَرَ. فَقَـالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «أَنْتَ بِذَاكَ؟».

فَقُلْتُ: أَنَا بِذَاكَ، وَهَا أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ صَابِرٌ لِحُكْمِ اللهِ عَلَيَّ. قَالَ: «فَأَعْتِقْ رَقَبَةً».

قُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَصْبَحْتُ أَمْلِكُ إِلَّا رَقَبَتِي هَذِهِ!

قَالَ: «فَصُمْ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ».

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ وَهَلْ دَخَلَ عَلَيَّ مَا دَخَلَ مِنْ الْبَلَاءِ إِلَّا بِالصَّوْمِ!

قَالَ: «فَتَصَدَّقْ أَوْ أَطْعِمْ سِتِّينَ مِسْكِينًا».

قُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَقَدْ بِتْنَا لَيْلَتَنَا هَذِهِ مَا لَنَا عَشَاءٌ!!

قَالَ: «فَاذْهَبْ إِلَى صَاحِبِ صَدَقَةِ بَنِـي زُرَيْـقٍ، فَقُـلْ لَـهُ فَلْيَـدْفَعْهَا إِلَيْـكَ، وَأَطْعِمْ سِتِّينَ مِسْكِينًا وَانْتَفِعْ بِبَقِيَّتِهَا!!!».

فَرَجَعْتُ إِلَى قَوْمِي فَقُلْتُ: وَجَدْتُ عِنْدَكُمْ الضِّيقَ وَسُوءَ الـرَّأْيِ وَوَجَـدْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ السَّعَةَ وَحُسْنَ الرَّأْيِ، وَقَدْ أَمَرَ لِي بِصَدَقَتِكُمْ!

قال: فَادْفَعُوهَا لِي»[1].

---

(١) رواه أبو داود – كتاب الطلاق – باب في الظهار ٢/ ٢٦٥(٢٢١٣)، والترمذي – كتاب تفسير القران ٥/ ٤٠٥(٣٢٩٩)، وابن ماجة – واللفظ له (إلى قوله «وانتفع ببقيتها» فقط) في كتاب الطلاق ١/ ٦٦٥(٢٠٦٢)، وأحمد ٥/ ٤٣٦، وصححه الألباني في الإرواء (٢٠٩١)، صحيح أبي داود (١٩١٧)، وصحيح وضعيف سنن ابن ماجة – (٢٠٦٢).



الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأصلي وأسلم على النبي الخاتم المهدَى رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه والتابعين وبعد:

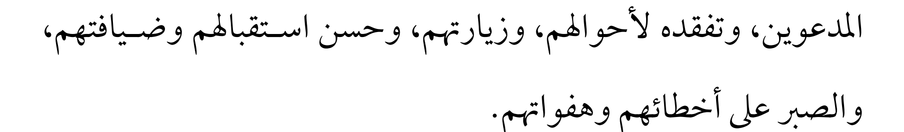
فهذه خلاصة لأهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث:

(١) أن هناك مجموعة كبيرة من الآيات والأحاديث النبوية التي عنيت بالحديث عن أخلاق النبي ﷺ، وعلى رأسها رحمته وعفوه وتواضعه.

(٢) بالرحمة والرفق واللين تفتح مغاليق القلوب، ويقبل الناس على الحق، ذلك أن الناس بطبيعتهم يألفون الرقة واللين والرفق، وينفرون من الخشونة والشدة والعنف.

(٣) كان ﷺ رحمة حقيقة وعملية للبشرية منذ بعثته وحتى وقتنا هذا، بشهادة ربه ﷻ، وأصحابه الذين عايشوه، والمنصفين من أعدائه.

(٤) تجلت مظاهر الرحمة في شخصية النبي ﷺ في دعوته للآخرين من خلال: تبسمه وبشاشته وتدرجه في التشريع، وتلمسه لحاجات



المدعوين، وتفقده لأحوالهم، وزيارتهم، وحسن استقبالهم وضيافتهم، والصبر على أخطائهم وهفواتهم.

(٥) على الداعية أن يتدرج في دعوته المبتدئين، فعليه أن ييسر ولا يعسر، ويبشر ولا ينفر.

(٦) كما تجلت مظاهر رحمته أيضا في تعامله مع العصاة والجهال من خلال تعليمهم وإرشادهم برفق وأناة، وحثهم على التوبة مهما كانت المعصية، والتجاوز عن مسيئهم، ودعوته إلى سترهم والدعاء لهم بالهداية والسداد، والنهي عن سبهم وشتمهم، والتأني في تطبيق الحدود، ومساعدة المذنبين في تكفير ذنوبهم...

(٧) إن النبي ﷺ لهو خير مثل للمؤمن في الرحمة بالمبتدئ والجاهل والعاصي والكبير والصغير والرجل والمرأة والخادم وصاحب الحاجة والبشرية جمعاء، حتى شملت رحمته غير المسلم بالحرص على هداه وإرشاده إلى الطريق القويم، والصبر عليه، وتحمل الأذى منه، والرغبة إلى الله أن يهديه.

(٨) الرحمة مطلوبة في كل نواحي الحياة، وفي شؤون الحياة كلها، فهي مطلوبة داخل البيت المسلم، قال الله تعالى: «**وجعل بينكم مودة ورحمة**»،



ومطلوبة ممن يتولى شؤون الحكم والقضاء، وممن يتصدر للتربية والتعليم والوعظ والإرشاد، وممن يسعى للإصلاح بين الناس، ومن كل أرباب العمل، وأصحاب الشركات وغير ذلك.

أما التوصيات، فأجملها بالنقاط التالية:

(١) الاستمرار في عقد المؤتمرات والندوات التي تبين وتشرح سائر أخلاق النبي ﷺ كالصدق والأمانة والوفاء والإخلاص والعدل...

(٢) أن يحمل كل مسلم ومسلمة أمانة الدفاع عن نبي الرحمة كل حسب استطاعته، مع استثمار التقنيات الحديثة في سبيل ذلك من قنوات فضائية، ومواقع الإنترنت وغير ذلك من وسائل الاتصال الحديثة.

(٣) اقتراح مشروع لترجمة مائة كتاب في سيرة النبي ﷺ وأخلاقه، والسعي لنشر هذه الكتب – بعد ترجمتها – في أوربا وأمريكا، وروسيا واليابان والصين.

(٤) الدعوة إلى التراحم بين المؤمنين، ونبذ الخلاف والفرقة فيما بينهم، وسيادة لغة الحوار والحكمة والجدال بالتي هي أحسن، لتسعد البشرية من جديد، ولتحيى حياة كريمة كما أمرها الله وكما يحب لها.

وفي الختام أسأل الله ﷻ أن أكون قد وفقـت في كتابـة هـذا البحـث، وأن يتقبله مني خالصا لوجهه الكريم، وأن يتجاوز عن سـيئاتي وهفـواتي إنـه غفـور رحيم. وأشكر الإخوة القائمين على هذا المؤتمر كافـة، سـائلا الله ﷻ أن يثيـبهم خير الجزاء إنه سميع مجيب. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * *



قائمة المراجع

(١) القرآن الكريم.

(٢) الآحاد والمثاني - أحمد بن عمرو الضحاك ابن أبي عاصم ت ٢٨٧هـ، تحقيق: د. باسم الجوابرة، دار الراية - الرياض، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

(٣) أخلاق النبي ﷺ وآدابه - محمد عبد الله بن محمد بن جعفر الأصبهاني المعروف بأبي الشيخ ت ٣٦٩هـ، تحقيق: د. السيد الجميلي - دار الكتاب العربي.

(٤) أخلاقنا - د. محمد ربيع محمد جوهري، دار الفجر الإسلامية - المدينة المنورة، ط ٧، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

(٥) الأدب المفرد - محمد بن إسماعيل البخاري ت ٢٥٦هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار البشائر الإسلامية - بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

(٦) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل - محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - دمشق وبيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(٧) الاستيعاب في معرفة الأصحاب - يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ت ٤٦٣هـ، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل - بيروت، ط١.

(٨) أسد الغابة في معرفة الصحابة - عز الدين بن الأثير المتوفى ٦٣٠هـ، المكتبة التجارية الكبرى - مصر ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

(٩) الإصابة في تمييز الصحابة – أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ، دار الجيل – بيروت، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

(١٠) التعريفات– علي بن محمد الجرحاني، دار السرور – بيروت.

(١١) تفسير القرآن العظيم – عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي ت٧٧٤هـ، عالم الكتب - بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(١٢) تقريب التهذيب – أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد - سوريا، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(١٣) تهذيب التهذيب – أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ، دار الفكر – بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

(١٤) الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي – أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ت ٢٧٩هـ، تحقيق أحمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(١٥) خلق المسلم – محمد الغزالي، دار القلم – دمشق، ط١٧، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

(١٦) دلائل النبوة – أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ت٤٥٨هـ، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(١٧) دلائل النبوة – إسماعيل بن محمد الأصفهاني ت٥٣٥هـ، تحقيق محمد محمد الحداد، دار طيبة – الرياض،ط١، ١٤٠٩هـ.

(١٨) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها – محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.



(١٩) سنن ابن ماجه – أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ت٢٧٥هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر – بيروت.

(٢٠) سنن أبي داود - سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ت ٢٧٥هـ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

(٢١) سنن البيهقي الكبرى – أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ت٤٥٨هـ، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

(٢٢) سنن الدارقطني – أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني البغدادي ت٣٨٥هـ، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني، دار المعرفة – بيروت ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.

(٢٣) السنن الكبرى – أحمد بن شعيب بن علي النسائي ت٣٠٣هـ، تحقيق: د. عبدالغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

(٢٤) سنن النسائي ـ بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي - أحمد بن شعيب بن علي النسائي ت ٣٠٣هـ، دار الفكر – بيروت،ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

(٢٥) شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ت ٤٥٨هـ تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.

(٢٦) صحيح البخاري - محمد بن إسماعيل البخاري ت ٢٥٦هـ، المطبوع مع فتح الباري شرح صحيح البخاري، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، إشراف: عبد العزيز ابن عبد الله بن باز، دار الفكر.

(٢٧) صحيح ابن حبان ـ بترتيب ابن بلبان – محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي ت٣٥٤هـ، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط ٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

(٢٨) صحيح ابن خزيمة – محمد بن إسحاق بن خزيمة ت٣١١هـ، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي – بيروت، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

(٢٩) صحيح البخاري – محمد بن إسماعيل البخاري ت٢٥٦هـ تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة – ط٣، بيروت ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

(٣٠) صحيح سنن ابن ماجه – محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية لدول الخليج – الرياض،ط٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٣١) صحيح سنن أبي داود – محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية لدول الخليج، ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

(٣٢) صحيح مسلم – مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ت٢٦١هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية – بيروت.

(٣٣) صحيح مسلم بشرح النووي – محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط ٢، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

(٣٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري – أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت٨٥٢هـ، دار الفكر.

(٣٥) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير - محمد علي محمد الشوكاني ت ١٢٥٠هـ دار الفكر – بيروت.



(٣٦) فهارس القرآن الكريم – المطبوع في نهاية القرآن الكريم تفسير وبيان – د. محمد حسن الحمصي، دار الرشيد – بيروت.

(٣٧) في ظلال القرآن – سيد قطب، دار الشروق – بيروت والقاهرة، ط١١، ١٤١٥هـ – ١٩٨٥م.

(٣٨) كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة – نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ت٨٠٧هـ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

(٣٩) لسان العرب – جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور،دار صادر، بيروت، ١٩٥٦م.

(٤٠) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد – علي بن أبي بكر الهيثمي ت ٨٠٧هـ، دار الريان – بيروت، دار الكتاب العربي – القاهرة، ١٤٠٧هـ.

(٤١) مختار الصحاح – محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، ترتيب: محمود خاطر، دار الحديث بجوار إدارة الأزهر – مصر.

(٤٢) المستدرك على الصحيحين – أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١.

(٤٣) المسند – أحمد بن حنبل ت٢٤١هـ، المكتب الإسلامي – المصورة عن المطبعة الميمنية.

(٤٤) مسند أبي داود الطيالسي– سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي ت ٢٠٤هـ، دار الكتاب اللبناني ودار التوفيق، ط١.

(٤٥) مسند أبي عوانة – أبو عوانة يعقوب بن إسحاق الإسفرائيني ت٣١٦هـ، تحقيق أيمن بن عارف الدمشقي، دار المعرفة – بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

(٤٦) مسند أبي يعلى الموصلي – أحمد بن علي بن المثنى الموصلي التميمي ت٣٠٧هـ، تحقيق: حسين سليم أسد،دار المأمون للتراث – دمشق، ط ١، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

(٤٧) مسند الإمام أحمد بن حنبل ت٢٤١هـ تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط ١، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

(٤٨) مسند الشاميين – سليمان بن أحمد الطبراني ت٣٦٠هـ، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

(٤٩) معالم التنزيل – الحسين بن مسعود البغوي ت٥١٦هـ، حققه وأخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر وآخران، دار طيبة، ط٤، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

(٥٠) معجم مقاييس اللغة– أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ت٣٩٥هـ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل – بيروت، ط١، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

(٥١) معجم البلدان – ياقوت بن عبد الله الحموي ت٦٢٦هـ، دار الفكر – بيروت.

(٥٢) المعجم الكبير– أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ت٣٦٠هـ تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم - الموصل، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م.

(٥٣) المفردات في غريب القران - أبو قاسم بن محمد المفضل المشهور بالراغب الأصفهاني، دار المعرفة – بيروت.



(٥٤) الموطأ – مالك بن أنس ت ١٧٩هـ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية- بيروت، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

(٥٥) النهاية في غريب الحديث والأثر – مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناجي، دار الفكر – بيروت ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

***

الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها (سنن)



هاتف : ٢٥٨٢٧٤٩ – ١ – ٠٠٩٦٦

فاكس: ٢٥٨٢٧٤٣ – ١ – ٠٠٩٦٦

المملكة العربية السعودية

ص . ب ٤٦٨١١ الرياض ١١٥٤٢

www.sunnah.org.sa

sunnah@sunnah.org.sa